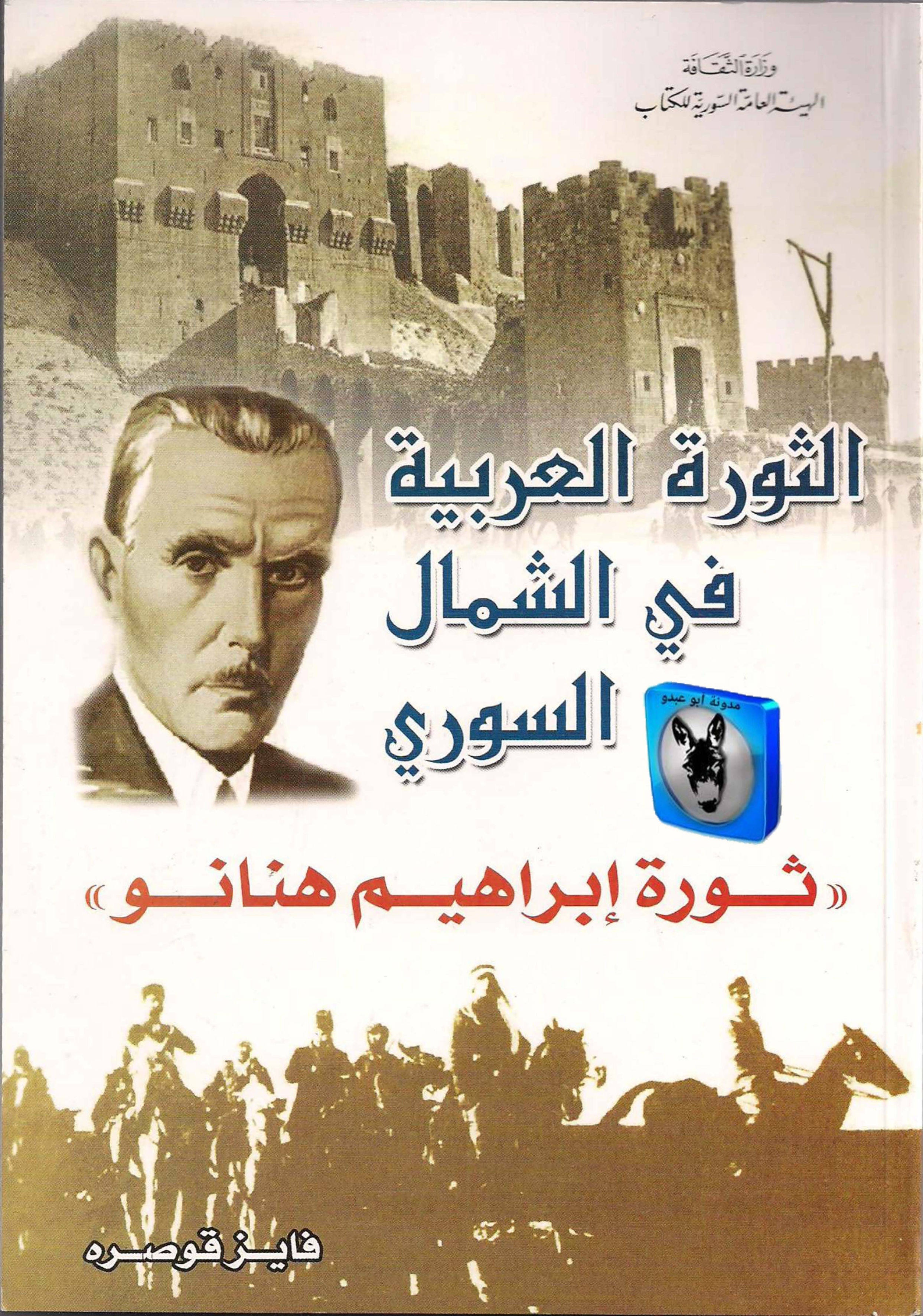
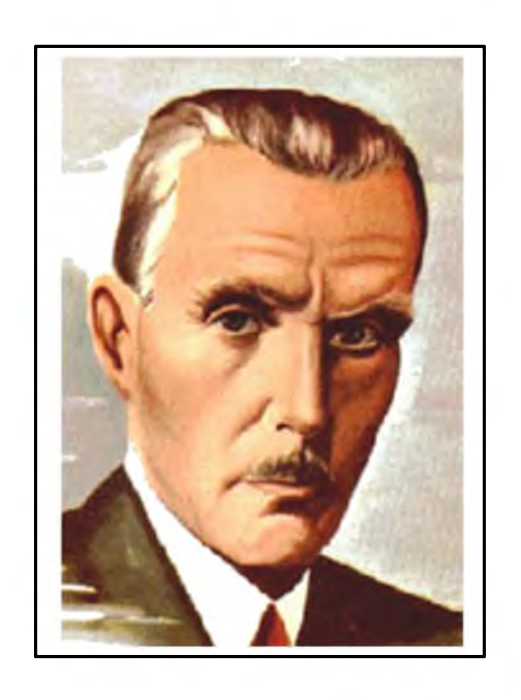

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
الثورة العربية
في الشمال
السوري
مدونة ابو عبدو
«ثورة إبراهيم هنانو»
فايز قوصره



الثورة العربية في الشمال السوري

(ثورة إبراهيم هنانو)



فايز قوصرة

الإهداء ...


الزعيم الوطني إبراهيم هنانو

إلى روح الزعيم الوطني ((إبراهيم هنانو))

رمز الوحدة الوطنية . .

والدفاع عن الوطن . .

الذي علمنا ألا ننسى التاريخ . .

وأن نتعلم منه دائماً :

المحبة بين أبناء الوطن . . . وروح الدفاع عن أرضه . . .

المؤلف

فايز قوصرة



المقدمة

هل نحن بحاجة إلى إعادة كتابة تاريخنا المعاصر ؟ ! سؤال يتردد في ذهن كل باحث ومؤرخ، هذا " الهاجس " الدائم عندنا جميعاً، حتى ولو كان هناك اجتماع لمؤرخين في مؤتمر عام محلي أو دولي، لتردد هذا السؤال !

جوابنا نعم نحن بحاجة :

أولاً – قد تكون هناك معطيات جديدة بحاجة إلى دخول (المبنى التاريخي) السابق، وتعديل ما قد طرح.

ثانياً – الجيل الجديد سيظل بأمس الحاجة في العودة إلى تاريخه المعاصر، ليعطيه رؤيا يبني على أساسها بعض البنى المستقبلية.

ثالثاً – في الإعلام المرئي تتم ندوات وحوارات حول شخصيات وأحداث تاريخية، سيضطر المشاهد ، ولتحقيق مشاركته، من العودة إلى كتاب أو مرجع يستند إليه في حواره.

رابعاً – الوطنية كائنة لدى كل مواطن، لكن ذاكرة الوطن التاريخية، هي بحاجة دائمة إلى ((التغذية الراجعة)) وهذه تتحقق في الجديد المستمد من القديم، مما سبق، وما قد يتحقق، هو متحقق في إعادة كتابة تاريخنا الوطني بأيدينا، وبالوثائق المباشرة التي أعدها مجاهدون شاركوا في الثورة ليس قولاً بل عملياً ، فكانت أمامي مذكراتهم ((أنبش)) في سلة الأحداث التي عاشوها، وذكرياتهم المستعادة، مع نقاط التلاقي في رواياتهم، لأصل إلى الحدث كحدث ،والتحقق في الرواية الموضوعية.

لقد اخترنا عنواناً يغاير ما سبق طرحه، إذ أطلقنا على الثورة اسم ((الثورة العربية في الشمال السوري)) بديلاً عن ((ثورة الشمال)) أو ((ثورة هنانو)) لقناعتنا الخاصة، ومن خلال الوثائق الجديدة المعروضة في هذا الكتاب، وتحليلاتنا وسير الأحداث فيما بعد أنها :

أولاً - عربية في تأكيدها على ذلك كشعار وتطبيق ميداني .

ثانياً - وطنية في بعدها المحلي والإنساني، أعطت دروساً مثلى في العمل الوطني الواحد .

وسيجد القارئ في طوايا هذا الكتاب ما يقدم الأمثلة الحية ، لتسمية هذه الثورة بهذا الاسم

لو عدت شاباً لسافرت إلى فرنسا ، لأعود إلى التقارير المرفوعة إلى سلطة الانتداب، ولنسمع الرأي الآخر . . لكن هذا الأمل قد يحققه من يأتي بعدنا ، فيتابع مسيرتنا في التأريخ لهذه المنطقة .

هي صفحات أردت إظهارها (قدر الإمكان) بموضوعية، لتكون مادة تاريخية بيد كل باحث في تراثنا الوطني المجيد . . ولعلنا قد أضفنا بعض الجديد إلى تاريخنا .

* *

كما لا يسعنا إلا الاعتراف بجميل كل من ساهم معنا ، أو قدم لنا الوثائق من آل هنانو والشغوري والقصاب والأفندي والبيطار ورستم وشعبان . . . ونخص بالشكر الصديق حسين عصمت المدرس قنصل هولندة الفخري بحلب الذي كان لملاحظاته الأثر الكبير في نفسي والمهندس الشاب وحيد راغب إبراهيم الذي ساهم معنا في إخراج هذا الكتاب إلى النور .

إدلب ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٨ فايز قوصرة

الفصل الأول

الاحتلال .. وتشكيل الحكومة العربية

١- تمهيد: بعد الحرب العالمية الأولى، لم يكن من السهل تحقيق الحلم العربي الأول بالاستقلال عن الدولة العثمانية (التركية)، وقيام دولة عربية سورية، مع وعود الحلفاء الإنكليز الكاذبة، في مكاتباتهم الشريف حسين بالسعي إلى ذلك، إذ كانت في الوقت ذاته تفاوض فرنسا على تقسيم هذه البلاد، وتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، وقد أعلنت القيادة العليا لبريطانيا منشوراً يتضمن أسلوب إدارة البلاد المحتلة، مستوحى من اتفاقية سايكس بيكو فقسمت سوريا بمقتضاه إلى ثلاث مناطق إدارية عسكرية...

منها الغربية شملت فيها موانئ طرابلس واللاذقية وأقضية جسر الشغور وأنطاكية واسكندرونة[1] وبحجة أنها بحاجة إلى منفذ بحري احتلت اللاذقية في ١٩١٨/١١/١١ وفي ٢٤ منه احتلت الاسكندرونة ثم في ١٩١٨/١٢/٧ احتلت أنطاكية، واستدعى هنانو إلى حلب، وانسحبت قواته من أنطاكية وحارم وسلمت للفرنسيين. بعد تعيين (بيابان) تم نشر القوات الفرنسية في الساحل من اللاذقية وانتهاء بأنطاكية في أواخر عام ١٩١٨م، بادئاً السعي للوقوف أمام كل تحرك ثوروي ضده في دس الدسائس، ونشر الجواسيس وشراء العملاء.

بدأ بعض الضباط الذين كانوا في الجيش العثماني يلتحقون بالثورة العربية، وظهر العداء لفرنسا يتفاقم بعد كشف مؤامرة الاحتلال، ويجرون الاتصالات مع

[1] إسماعيل – حكمت علي : نظام الانتداب على سوريا ص ٥٤

جيرانهم الأتراك وخاصة مصطفى كمال الذي أحرز النصر على الفرنسيين في كيليكيا ومرعش لذلك فكروا بالمصالحة معه ليتفرغوا إلى سوريا، فازدادت حشودهم على الحدود الغربية السورية [1]، لم تنقطع الصلات مع الأتراك والتي بدأت بإتفاقية سرية بين الأمير فيصل ومصطفى كمال في حلب بتاريخ ١٩١٩/٦/١٦ م بواسطة متصرف الكرك أسعد بك، ومن مضمونها اعتراف الحكومة العثمانية رسمياً بتشكيل حكومة عربية مع السعي لإقامة حلف اسلامي – تركي، وعلى إثرها تحرك الثوار في الشمال السوري، مترقبين الدعم التركي .. ولم تتوقف الاتصالات بين فيصل والأتراك، رغم علمه بتوصلهم إلى التفاهم مع الفرنسيين، لكن الثوار صدموا – فيما بعد – حين سمعوا بوجود اتفاقية الهدنة التي وقعت في لندن بتاريخ ١٩٢١/٣/١١ بين الفرنسيين والأتراك، والتي أوقفوا بموجبها دعمهم للثوار السوريين ،وتلت ذلك الاتفاقية الفرنسية التركية في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١ التي انسحبت بموجبها القوات الفرنسية من كيليكيا، مما مكن الفرنسيين من تركيز وتكثيف قواتهم ضد الثائرين السوريين [2].

٣ – الاحتلال الفرنسي وتشكيل الحكومة العربية في المنطقة:

يعلم كل مطلع أن تركيا قد خسرت في الحرب العالمية الأولى الكثير من ولاياتها، وبدأت المنطقة تعيش عهداً جديداً من الاستقلال الوطني ، إذ يدخل العرب ومعهم البريطانيون دمشق في /١/ تشرين الأول /١٩١٨/م وبعد عشرة أيام غادرت فصائل عربية دمشق لتسترد حمص وحماه ووصلت حلب في

---

[1] نفس المرجع ص٧٧ (٢) رافق – عبد الكريم : العلاقات السورية التركية مقال في مجلة دراسات تاريخية عدد ١٩ – ٢٠ عام ١٩٨٥م ص٦٦

[2] نفس المرجع ص ٦٦ وما بعد.

/٢٦/ منه وقبل تمام الشهر كانت سورية بحدودها الطبيعية محررة ولكن في عام /١٩١٦/ م تعقد اتفاقية سايكس بيكو القاضية بتقسيم الأقاليم العثمانية غير التركية، وإنشاء دولة عربية في سورية، ولكن لفرنسا الحق في تقديم المستشارين والموظفين الأجانب، وتنفيذاً لهذه المعاهدة تبدأ طلوع الفرنسيين احتلال الشمال عام/١٩١٨/م والسواحل السورية من الإسكندرون وحتى صور، وعيِّن الكولونيل الفرنسي بيابان حاكماً عامّاً، كما ونصت المعاهدة أن تكون حارم وإنطاكية للفرنسيين ،((مع أنه بعد الهدنة الموقعة بين الحلفاء والأتراك في ١٣/١٠/١٩١٨ تظل شراذم من الجيش التركي في حارم وإنطاكية لم تستطع اللحاق بالجيش المنهزم ، فتفسخت وتخللتها الفوضى ، وانقلبت إلى شبه عصابات تسلب وتنهب وتؤذي الأهلين)). وفي الجانب الآخر عندما ظهرت طلائع جيش التحرير الذي يسيِّره الأمير فيصل لتعقب فلول الجيش العثماني، وإقامة حكومة عربية في الربوع السورية ونشر علمها في كل من حمص وحماه والمعرة وإدلب وجسر الشغور وأنطاكية واللاذقية ، وتأمين الجهاز الإداري لتسيير الأعمال الحكومية ((لأن قضاء إدلب وجسر الشغور وحارم غرباً جعلت مناطق عربية يتولى ادارة شؤونها العليا من الوجهة السياسية والدبلوماسية الأمير فيصل))[١] وكما هو وارد في الوثائق الثلاث النادرة الأولى بخط الملك فيصل وتوقيعه والثانية بتوقيع أخيه الشريف ناصر(الصورة١) " لحضرة العلامة المفضال السيد بدر الدين الكيلاني: نبشركم بخفوق علم الحكومة العربية على الربوع السورية بأجمعها بظل مولانا والدي المعظم أمير المؤمنين وملك العرب السلطان الشريف حسين نصره الله . وبالنظر لما ألقي على سمعي من علو همتكم وغيرتكم المحمدية، فقد أوفدت إليكم ناقل هذا الكتاب

[١] العياشي : الإيضاحات ص١٣

السيد عمر الأتاسي لأجل نشر علم الحكومة العربية على ربوع حمص وحماه ، وقد عهدت إليكم

الصورة ١– الوثائق العربية الرسمية الثلاث: الأولى بخط الملك فيصل والثانية الشريف ناصر والثالثة رئيس الحكومة العربية بحماه وملحقاتها (في ٥ تشرين الأول ١٩١٨م)

برياسة الحكومة في قصبة حماه وسلمية والعمرانية ولست أشك بسعيكم ومفاداتكم في تأييد كلمة هذه الحكومة العربية الإسلامية الموطدة الأساس العالية الكلمة والمؤيدة بعون الله ونصره ، والسلام عليكم وعلى جميع أخواني من السادة الكيلانية وعموم الأسر الكريمة في حماه كما أنتظر منك المخبرة بما يلزم . ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٦هـ التوقيع فيصل بن الحسين.

وأما الأمر الوارد من قيادة الجيوش العربية الشمالية والمؤرخ في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩ فقد تضمن مايلي :

" حضرة حاكم حماه المحترم : قد رأيت الكثير من أبناء العرب المتخرجين من المدارس العالية هنا بدون شغل شاغل ، وبما أننا في حاجة عظيمة لتأسيس حكومة بأسرع ما يمكن لئلا نظهر بحالة الفوضى أمام الملأ يجب أن تجمعوا هؤلاء وتستفيدون من آرائهم والبعض منهم توظفوهم في الأقضية وبالأخص لمعرة النعمان وإدلب وجسر الشغور واللاذقية. وأكرر لكم الإسراع لهذا ولأن ضياع الدقايق في هذا الوقت ، مما يؤثر على حياة الأمة العربية في الحال والاستقبال والسلام عليكم التوقيع – قائد الجبهة الشمالية – الشريف ناصر " .

والوثيقة الثالثة تتضمن تعيين حاكم عربي في معرة النعمان :"حضرة الشهم الكريم السيد سامي الحراكي المحترم : بناء على عهد مولاي الأمير فيصل إلي بتأسيس الحكومة العربية في حماه وسلمية والعمرانية والأمر من قائد الجبهة الشمالية سيدي الشريف ناصر المحررة صورتها أعلاه . فقد عينتك رئيساً لحكومة فيصل في معرة النعمان ، فأومل المباشرة بتنظيم القوة الإجرائية أولاً وما يليها من شعب الحكومة مع السعي المتواصل في حفظ الأمن ولإقامة الحق ونشر العدل في الأمور كلها.

وهذه الراية العربية الكريمة سلمتها إليك بيدك ، فانشر علمها على ربوعكم وانهض بكلك لخدمة أمتك العربية تحت ظل سيدها أمير المؤمنين وسلطان العرب الحسين ابن علي أيده الله بنصره . وخابرني بما يلزم والسلام عليك ٢٠ محرم الحرام ١٣٣٧هـ بتوقيع خاتم و رئيس الحكومة العربية بحماه وملحقاتها محمد بدر الدين الكيلاني " من الوثائق الثلاث نستخلص ما يلي :

١- الحكومة العربية في مراسلاتها تؤكد على وحدة الصف وكلمة العربية واعتمادها على الأسر العربية العريقة.

٢- إدلب وجسر الشغور ومعرة النعمان قد كانت تابعة لحماه مؤقتاً وحاكمها هو المفوض بتعيين حكام هذه المناطق.

٣- يقصد بالعمرانية قضاء مصياف إذ كان يدعى كذلك في العهد العثماني.

٤- إن أول حاكم عربي لقضاء إدلب هو (برهان الدين العياشي) من أبنائها.

فالوثيقة التالية الموجهة إليه كمفتي قضاء إدلب وبقية الوجهاء ((وإن قضاء إدلب قد حاز على النعمة التي كان ينشدها للتخلص من حكومة الترك الغاشمة ، لذلك عهد إلى السيد حكمت الحراكي أن يكون مندوبا من قبلنا لنشر اللواء العربي في جميع ربوعكم فينبغي أن تؤازروه وتؤلفوا هيئة حكومة موقتة تحت رياستكم .... والأمل منكم أن تنتقوا الموظفين من خيرة الرجال...)) التوقيع باسم قائد الحملة الشمالية الشريف ناصر. (الصورة ٢)

ولو أردنا تحليل هذه الوثيقة لوجدنا إدلب لم تحرر بعد ، بل طلبت المساعدة ، وتمت المشاورة بين العائلات العربية بإدلب ، والقوات العربية المتمركزة في حماه ، ومنهم كامل الكيالي أحد وجهاء إدلب ، والعاملين دائما لرفعة شأنها ، وكانت نتيجة مباحثاته بتكليف من المفتي عياشي بعد تلقيه الرسالة السابقة ، أن أرسله مندوبا عنه لأخذ زمام المبادرة لتحرير إدلب واستتباب

الصورة ٢- الوثيقة العربية الأولى بعد العهد العثماني الخاصة بإدلب لتشكيل حكومة مؤقتة في ٢٠محرم الحرام ١٣٣٧ هـ ٢٦ تشرين الأول ١٩١٨م

الأمن فيها وسماع توجيهات القيادة في حماه ، وكان هذا الكتاب الذي حمله معه الكيالي إلى مفتي إدلب. ((حضرة سيدي الهمام السيد برهان الدين مفتي إدلب الأكرم : هذا وبه رجونا المبادرة لنشر العلم العربي على ربوع بلدتكم والقيام بما يلزم حسبما أودع من لدن سيدنا ومولانا الأمير الشريف ناصر الدين أيده الله وبه أعرضت عن العزم بالتشرف بتأديتكم للقيام بهذه الخدمة وبما أنه جدّ لي ثقل منعني الآن عن التشرف وقد تشرفنا بقدوم حضرة السيد الفاضل كامل الكيالي فقد رجوناه أن ينوب عنا ليبلغكم الأمر المعطى من لدن مولانا الأمير المشار إليه المشعر بلزوم ترئسكم للحكومة العربية بإدلب ، وتشكيل إدارة موقتة بما يناسب الحال وتوطيد الأمن وتشكيل الدرك والشرطة موقتا بما يناسب الحال ، حسب اللزوم ، صادف ذلك قبول المومى إليه فعليه تكرموا

بالمباشرة بذلك وأعلموا حاكم لواء حماه السيد بدر الدين الكيلاني بالقضية وخابروه بما يلزم وأدام بقاءكم مولاي ..

٢١محرم الحرام ٣٣٧ وكيل رئيس حكومة المعرة العربية . توقيع حكمت الحراكي))

ويبدو أن قضاء إدلب حرر سلماً بجهود ودبلوماسية أبنائه ، إذ لم تفدنا الروايات المتواترة ولا الوثائق عن وقوع معركة أو نزاع مع الأتراك ، إذ حين عرفوا أن السلطة ستؤول إلى القوات العربية وإلى أبناء المنطقة ، غادروها وتم تحقيق ما يلي بسرعة حسبما هو مدون بجانب الوثيقة السابقة بخط العياشي وتوقيعه ((بعض مواد تلقيناها تحريراً وشفاهاً من مستشار قائد الجيش العربي :

١- تشكيل الدرك (الشرطة) بالنظر الحالي ووسعة القضاء (شمل القضاء) على أن يكون معاش الخيالة سبعة ليرات والمشاة أربعة ليرات .

٢- تشكيل شرطة بما يناسب حال المدينة (نظام بوليسي) على أن يكونوا من ذوي الهمة والشرف .

٣- وضع اليد على جميع عنابر الحبوب والزيتون والصابون العائدة للخزينة وحفظها تحت الختم .

٤- وضع اليد على المال ... ؟ وصندوق بنك الزراعة والديون العمومية ، ومحافظة ذلك للخدمة التامة .

٥- التبليغ لنشر العلم العربي على جميع خواص ونواحي القضاء.

٦- تعيين ما هو مخصوص لأجل قيد الاستدعايات التي تتقدم للحكومة وقبض ثلاثة قروش قيمة الطابع بقي بول (الطابع أو الدمغة) المقطوع والحجاز و قيد ذلك بدفتر مخصوص وحفظه .

٧- إبقاء المحكمة الشرعية على حالها السابق وتوكيل ذات فاضلات بوظيفة القضاء موقتة لحين الإيعاز الرسمي .

٨- تشكيل بريد بيننا وبينكم لأجل إيصال الرسائل لحركة اللواء .

٩- انتخاب هيئة إدارة الحكومة العربية المؤقتة تحت رعايتكم من خيرة الرجال.

وأما الزعيم هنانو فقد كان على رأس مئات من الرجال من مسقط رأسه كفرتخاريم ومن القرى والقصبات المجاورة، حيث التقى بسمو الأمير ناصر ابن عم الأمير فيصل في قضاء المعرة ، وعهد إليه بتطهير منطقتي حارم وإنطاكية من فلول الجيش التركي، ولتثبيت الأمن والنظام فيهما ، لذلك حشد الجموع وسار إلى إنطاكية، بعد أن أقام في الريحانية مركز قضاء حارم حينذاك ، وأقام فيها حكومة عربية تدير شؤونها.

يروي القصاب [١] : ((أن حاكم أنطاكية قد اتصل بوالي حلب من أجل التنسيق للانفصال عن الدولة العثمانية، ورفع العلم العربي في أنطاكية، ويجهز هنانو حملة مؤلفة من ٥٠٠ مقاتل للذهاب إلى أنطاكية، وفي منطقة جبلية وعرة، تراجع نصفهم عن الذهاب ، فيعلم القصاب هنانو بذلك، فقال له: اجلب لي الأدهم (اسم حصان هنانو)، وأسرع الخطى وراءهم قائلاً : ((يأبناء العرب (يا جبناء) .. أناشدكم بالله العلي الأعظم كل من دخل في قلبه الخوف يرجع، وسأدخل إنطاكية بإذن الله وأنا إبراهيم ...))

فقال له القصاب : لعينيك يا أبا طارق ..

---

[١] القصاب : زعيم المجاهدين من بني معروف في قرية معرة الأخوان – شمال غرب إدلب – وقد ذكر معظم المجاهدين مواقفه الوطنية معه .. وله عدة ألقاب (أبو القصاب) (محمد علي القصاب).

وسار الموكب إلى أنطاكية، وقد ذهب شكهم، وقرروا التوزع حول إنطاكية، حتى يتم إطلاق النار من جميع الجهات وكلمة السر للإشارة ببدء الهجوم هي حين ينادى في أحد الجوامع : الله أكبر .. ، ويتم ذلك بعد سماعهم الله أكبر، يبدأ هجومهم ويدخلون أنطاكية ، وفي الساحة العامة ينزلون العلم العثماني من على السطح ...))

يحاول بعضهم تمزيق العلم العثماني، ولكن هنانو ينكر هذا التصرف ، وأخذ له تحية قائلاً : ((إن هذا العلم قد أظل الإسلام والعروبة ستة قرون فحق عليهم أن يظل محترماً. وأن الشعب التركي الذي لا زال يستظل به هو أخ الشعب العربي وإن تفرقا[١])) وسلمه للمجاهدين لوضعه في مكان آخر.. سر الجميع لتصرفه الدبلوماسي هذا ولفتح أنطاكية... وفي قوله هذا وسلوكه سياسة يتجنب بها الحرب الأهلية ، ثم رفع العلم العربي محيياً وسعى لوقف الاضطراب والفوضى داخل إنطاكية ، وتم كل هذا في / ١ / تشرين الثاني /١٩١٨/ م.

كان الفرنسيون قد احتلوا إسكندرون، وهم قادمون لاحتلال إنطاكية.. إذ لم تمض أيام حتى تلقى هنانو من الأمير ناصر أن يشخص إلى حلب، وأناب عنه في إنطاكية ابن عمه عزة هنانو، وأدرك أن الجنرال الإنكليزي اللنبي بدأ يطبق معاهدة سايكس بيكو، ورضي أن تسلم حارم وإنطاكية لفرنسا حتى الانتهاء من مؤتمر الصلح ، و قد تمّ استدعاؤه [أي هنانو] من قبل اللنبي ونفذه ناصر لمنع وقوع اشتباك مسلح يلجأ إليه هنانو وصحبه. وحين وصلت القوات الفرنسية إلى إنطاكية تحاول إنزال العلم العربي، يرفض عزة هنانو ابن عم إبراهيم والذي كلفه القيام بالأعمال الإدارية فيها، ويكاد يحدث الصدام، وحين تنصاع حكومة حلب للأمر بإخلاء حارم وإنطاكية للفرنسيين، تنسحب

[١] روى القصاب مرافقه أنه قال : لا يجوز ذلك هذا العلم مقدس بقينا تحت ظله ٤٠٠ عام .

قوات هنانو من إنطاكية وحارم ! بعد دخول القوات العربية حلب في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩١٩م وإدلب في٢٧منه ... كان الزعيم إبراهيم هنانو يراقب هذا الوضع المضطرب.. وفي ١٨ /١ / ١٩٢٠م سافر فيصل إلى الشمال ودعا إليه زعماء الثائرين ، وطلب إليهم الجنوح إلى السكينة فنزلوا على إرادته ، وحين تمت الدعوة لعقد المؤتمر السوري شارك فيه أبناء المنطقة وهم إبراهيم هنانو عن حارم وحكمت الحراكي عن المعرة وزكي يحيى وأحمد عياشي وفؤاد عبد الكريم عن إدلب وصبحي بركات عن إنطاكية وعقد رسمياً في ١٩١٩/٦/٣ لتمثيل البلاد أمام لجنة الاستفتاء وسن دستور لسورية وكان من بين الوفد الذي زف البشرى للملك فيصل مندوب إدلب أحمد العياشي.



الصورة ٣- الملك فيصل الأول ملك سوريا. حلب و منطقة إدلب وحارم من أوائل المؤيدين له وللحكومة العربية المستقلة.

وفي إدلب تقام الحكومة المحلية الوطنية في السراي ثم اجتمعت في ٧/ ٣ /١٩٢٠م ليعلن استقلال سوريةفرحة بهذا الاستقلال والذي لم يدم طويلاً. وبايعت الملك فيصل على عرش سورية (الصورة ٣). وأول قائمقام عربي رسمي يعين فيها عمر زكي الطرابلسي وكما سيرد.

٣-الاستعداد للثورة : وفي الجانب الآخر، جبهة التحرر لطرد المستعمر عن منطقة حارم وإنطاكية، قلق الجميع وتحرك بعضهم، إذ في صباح ذات يوم وبينما كان رئيس ديوان فيصل الأول جالساً وراء مكتبه في حلب، وكان يوم ذاك السيد "إحسان الجابري"إذ برجل يدخل عليه ويقول له دون مقدمات: أنا إبراهيم هنانو. وأجاب رئيس ديوان فيصل: أنا أعرفك.. فماذا تريد؟

قال هنانو : أريد أن أجمع بعض أخواني الثوار وأمشي بهم إلى الثورة المسلحة ضد فرنسا ..! وسأله رئيس الديوان : وماذا تطلب مني ؟ أجاب إبراهيم : أريد أن تنقل رسالتي هذه إلى فيصل . قل له إنني أريد بعض

المال أنفق منه على الرجال، وبعض السلاح أحارب به المستعمر... فهل في وسعه مساعدتي؟ قال له رئيس الديوان: وهل أنت مصمم على طلبك هذا ؟ أجاب إبراهيم : كل التصميم .. قال رئيس الديوان : إن في وسعك أن تخدم وطنك من خلال وظيفتك الحالية ..وأنت لست قادراً على هذا العمل الخطير المحفوف بالمحاذير والصعاب .... والموضوع ليس عاطفياً وحسب .. وانفجر ابراهيم هنانو يقطع على رئيس ديوان فيصل حديثه قائلاً :

ما عليك من هذه النصائح الفارغة، اذهب وانقل الى الملك طلبي فإما يساندني وإما يعتذر، وذهب رئيس الديوان وعرض الأمر على الملك .. فوافق عليه وتسلم إبراهيم بعض المال وبعض السلاح وترك "حلب" وانطلق إلى الثورة ! وفي طريقه إلى أولى معاركه التقى بالبطل السوري "يوسف العظمة" ،(الصورة ٤) وكان يومذاك أحد مستشاري فيصل فسأله العظمة: هل أنت مصمم على تنفيذ قرارك يا إبراهيم ؟ فهز إبراهيم رأسه علامة الموافقة وأجاب: سأحارب الفرنسيين .. وسأحرر بلدي من دنسهم !وقد شكلت في حلب جمعية الدفاع الوطني ..وكان قد حضرها يوسف العظمة وزير الحربية، هذه الجمعية قد

تشكلت بدعم من تجار حلب والقادة الدينيين وأعضاء المهن الحرة ، ثم تحولت فيما بعد إلى تنظيم سياسي لنشر فكرة الوحدة الوطنية السورية المعروف باسم (النادي العربي في حلب).

ويُكلف كما ذكرنا هنانو ورفيقه محمد زين العابدين بجمع الرجال والأموال للدفاع عن سلامة البلاد وطرد الفرنسيين .. إذن هو طلب الجهاد، وليس كما يروى أو نشر بأن والي حلب رشيد طليع ، قد طلب منه الجهاد بإيعاز من الحكومة الفيصليّة ، إذ يذكر مرافقه الشغوري ((أنه بعد مشاورته بعض الساسة العرب، قرر تشكيل شراذم قليلة العدد سريعة التنقل لخلق فوضى في منطقة الاحتلال الفرنسي

الصورة ٤- الشهيد يوسف العظمة وزير الحربية بطل معركة ميسلون في ١٩٢٠/٧/٢٤م

وبث الذعر في نفوسهم ومرتزقتهم)) وقد منع الانكليز الشريف حسين من إرسال المال إلى ابنه زيد في سوريا في ربيع عام ١٩٢٠م خشية وصول هذا المال إلى هنانو.

٤- التواصل مع تركيا: بعد الاتفاقية السرية قرر هنانو السفر على رأس وفد من الثوار إلى تركيا في ١٧ آب عام ١٩٢٠م وقابل في مرعش صلاح الدين عادل بك قائد الفيلق الثاني التركي ، ووقعت اتفاقية بين الطرفين في ٧ أيلول ١٩٢٠م واتفقوا على التعامل مع هنانو كممثل عن الحكومة العربية السورية... ولكن بعد حين يتبدل الموقف السياسي لصالح فرنسا، إذ يتم التوصل إلى

اتفاقية هدنة بين فرنسا وتركيا تتم في ١٩٢١/٣/١١م... وبدأت فرنسا تحاول التوسع في المنطقة، وكما ذكر الشغوري أن نجدات فرنسية تزيد على خمسين ألف جندي جلبت من كيليكيا إلى سوريا في أعقاب الاتفاقية، فرفعت أعداد الجيش الفرنسي الذي يقاتل الثوار السوريين إلى خمسة وسبعين ألف جندي. وأكد تقرير المخابرات البريطانية في ١٩٢١/٤/٢٠ أن الاتفاقية الفرنسية – التركية وتوقف العمليات في كيليكيا أتاح للفرنسيين استخدام أعداد كبيرة من الجنود ضد الثائرين[١].

وترتب على هذه التطورات نتائج هامة ، فقد اختلت ، أول الأمر ، المعادلة العسكرية على الجبهتين السورية والتركية ، وكانت القوات التركية المشتبكة مع الفرنسيين في كيليكيا ، قد أفادت من إشغال الثوار السوريين لقوات فرنسية كبيرة،كان من الممكن أن توجه ضد الأتراك في غياب الثورات السورية. وذكرت التقارير الفرنسية، مثلاً، أن أكثر من سبع فرق عسكرية فرنسية كانت تقاتل ثوار الشيخ صالح العلي في جبال الساحل في عام ١٩٢١م. ولا أدل على شدة ما أوقعه الثوار السوريون من إصابات في صفوف القوات الفرنسية في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ من إحصاءات هذه الإصابات التي قدمتها الحكومة الفرنسية لمجلس النواب الفرنسي في جلسته بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥. فقد جاء أن عدد الفرنسيين الذين قتلوا، باستثناء ما قتل من قوات تعمل في الجيش الفرنسي من أصول إفريقية شمالية أو محلية متطوعة، بلغ ٢٨٩٣قتيلاً عام ١٩٢٠م، و٢٠٣٢ قتيلاً عام ١٩٢١م. ثم هبط العدد إلى ٦٣٦ عام ١٩٢٢م ، وعاد وارتفع إلى ٥٨٨٥ خلال ثلاثة أشهر (١٥ تموز – ١٥ تشرين الأول ١٩٢٥) إبان الثورة السورية الكبرى.

---

[١] رافق : نفس المرجع ص٧٢ وما بعد.

وأرسل إبراهيم هنانو بدوره برسالة إلى الشريف علي بن الحسين ، قائد عمليات الشمال، يذكر فيها أنه تلقى رسالة من الأمير عبد الله بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١م. ويضيف هنانو أنه يحارب لأجل الدين باسم الشريف علي وباسم اللنبي، وأنه بمساعدة الشريف علي قد وحد جهوده مع الشيخ صالح العلي ومع حاجم باشا (لعله الأمير البدوي من قبيلة العنزة في منطقة الرقة) ، وأنه أسس أربع دول في سوريا الشمالية (ربما كان يشير إلى الثورات الأربع التي كان يرأسها)، باسم الملك حسين. واختتم بقوله ((أنه يحارب من أجل عقيدتنا ولدعم القضية العربية)). ويلقب هنانو نفسه في التوقيع بأنه زعيم الدفاع الوطني في سوريا الشمالية.

وسمح الأتراك لمجموعات الثوار السوريين اللاجئين في أراضيهم باجتياز الحدود ومهاجمة الفرنسيين في شمال سوريا. واشتدت هذه الهجمات بدءاً من صيف عام ١٩٢٣م واستمرت في عام ١٩٢٤م،وهذا ما تؤكده أيضاً مذكرات هؤلاء الثوار. وقام عقيل اسقاطي ورفاقه من المجاهدين الثوار بعمليات ضد الفرنسيين في منطقتي أنطاكية وجبل الزاوية، كما قام مصطفى الحاج حسين ونجيب عويد ونجيب البيطار بعمليات أخرى في منطقة إدلب. وهاجم يوسف السعدون صندوق مالية مملحة الجبول.

وأشارت الصحف التركية الواردة إلى حلب إلى مناطق الاضطرابات هذه بأنها ((الجبهة)) وإلى الثوار السوريين بأنهم ((أخوة وطن)) يحاربون في سبيل الاستقلال و الوحدة مع تركيا. وبازدياد العداء بين تركيا وفرنسا، اشتدت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية في سوريا. كما سبق القول، وطرأ تحول في موقف تركيا من الثوار السوريين اللاجئين إليها، فبعد أن مانعت في تأييد هؤلاء للثورة السورية الكبرى عند قيامها، سمحت لهم، بفعل هذه التطورات، في اجتياز

الحدود ومهاجمة الفرنسيين. وقد أرسل القائمون بالثورة السورية مبعوثين لتنظيم الثوار في المنطقة الشمالية ونشر الثورة فيها ضد فرنسا. وذكرت الصحف أن المؤتمر السوري – الفلسطيني كلف يحيى بك حياتي، وهو من دمشق ومعروف بميوله للكماليين، بتعبئة ثوار الشمال والاتصال بتركيا. وأشيع أن فرنسا ألقت القبض على مبعوثيه في الشمال في أوائل كانون الأول ١٩٢٥. وذكر أن يحيى بك حياتي سافر إلى أنقرة والتقى مع مصطفى كمال والسفير الروسي فيها. ولم تتوافر معلومات حول النتائج التي اقترنت بها محادثاته.

أكد هنانو – وكما سيرد في سيرته– أنه ظل يرغب بالتعاون مع تركيا لكنه وصل إلى القول ((أما الأتراك فقد غدرو بي بعد أن تعاقدت معهم على أن لا تتخلى ثورتهم وثورتي عن بعضهم بعضاً ، فلا اتفاق مع فرنسا إلا بعد حضور ممثلي الثورتين وموافقتهما ، لكن الأتراك تخلوا عن كيليكية والمناطق التي اغتصبوها من شمال سوريا . لقد قامر الفرنسيين علينا وعقدوا معهم الصلح في معاهدة أنقرة ، دون إثارة أي مطلب من مطالبنا في الحرية والاستقلال ...))[١]

الفصل الثاني

إعلان الثورة

١- بدء تنظيم الثوار : تشكلت أول حضيرة[جماعة] في كفرتخاريم[٢] تبعتها جماعات أخرى، وتمكنت من تسليح نفسها بالقنابل والبنادق وأطلقت يدهم لتحريض الأهلين على عدم دفع الضرائب.

---

[١] منير الريس : الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي دمشق عام ١٩٧٦ ص - ١٨٤- .

[٢] وهم محمد علي جمعة، مصطفى أبو درويش، مصطفى عويد، علي المغربي، صالح الشغوري، جميل عباس وعبد الرحيم الأفندي وكان رئيسها والذي أصيب بذراعه فيما بعد وخلفه نجيب عويد

وأمر هنانو بتوسيع رقعة عملها العسكرية، وفي كفرتخاريم تم تشكيل لجنة تشريعية قضائية رباعية[1] مهمتها جمع المال لتشكيل أربعين مجاهداً مسلحاً، قسموا إلى أربع حضائر[2] وتمكنوا خلال أربع ساعات من جمع ٥٠٠ ليرة.

وحتى لا تكون حكومة حلب بعيدة عن الثورة أوفدت الملازم إبراهيم الشغوري [هو من كفرتخاريم] (الصورة ٥)



الصورة ٥- الضابط إبراهيم الشغوري
صورة نادرة له باللباس العسكري العثماني.
(١٨٩٥ - ١٩٦٧م)

إلى منطقة العمليات لتدريب المجاهدين، وقد أثبت كفاءته، واستلم أمانة سر قيادة الثورة عند إبراهيم هنانو. كانت القيادة بيد عبد الرحيم الأفندي وبعد اصابته بذراعه سلمت إلى نجيب عويد(الصورة ٦). وأصبح عددهم خمسين مجاهداً (أربعون من كفرتخاريم وعشرة من سلقين)، ويشير الزميل صلاح الدين كيالي أنه " خلافاً لما أورده المؤرخون ونتيجة البحث والتحقيق تبين أن أول معركة خاضتها الثورة هي معركة المرد شمالي سلقين بواحد كيلومتر، والذي يؤكد ذلك أن القوات الفرنسية زحفت لاستلام الأعشار من المكلف بها في سلقين وتأديبه

[1] وهم نجيب عويد، عزة هنانو، إبراهيم الصرما، محمد درويش الكيالي .

[2] سمي كل واحد منهم رقيباً، وهم الحاج درغام درة، محمد علي جمعة، محمد حسين زهراء، عبدو حسن زنوب . وكلهم بأمرة قائد الفصيلة عبد الرحيم الأفندي . ثم انضم إليهم عشرة فلاحين من سلقين.

بعد أن علمت أنه قد سلم الأموال إلى الثورة فارتدت القوات الفرنسية متكبدة ٨٢ قتيلاً وأربعين بغلاً محملاً بالعتاد وعشرين رشاش (مترلوز). وإن ثورة هنانو خاضت ١٢١ معركة[1] ومن أوائل معارك الثوار توجههم نحو الحامية الفرنسية في حارم ،



الصورة ٦ . المجاهد نجيب عويد
١٨٧٠ . ١٩٦١ م من مواليد
كفرتخاريم تولى قيادة معظم المعارك

وفي ليلة ١٨ نيسان ١٩٢٠ م تحركوا وأبادوا ٣٢ جندياً فرنسياً، بينما الكابتن لوروا قائد الحامية [2] والباقي التجؤوا إلى قلعة حارم (٢٠٠ واحد) ويفرح الأهالي والقرى بهذا النصر،

لأنهم قد ظلوا يحاصرون القلعة وفكوا عنها الحصا
جاء المدد للفرنسيين من الساحل،ولكن خلفوا بعض القتلى والجرحى ...
بدأ هنانو ينسق مع صبحي بركات (من إنطاكية)[2] والذي أسمى نفسه الخالدي، وأوحيا بتشكيل حكومة برئاسة عاصم وحقي بك، وبمساعدة من

---

[1] كيالي صلاح الدين – كفرتخاريم . دمشق ٢٠٠٢
٢ذكر الجندي اسمه نيغريل ص٦٧
٣ في البلاغ الفرنسي الحصار ٢٢ نيسان ١٩٢٠م إلى ٣ أيار ١٩٢٠م

[2] يروي العياشي أنه في أواخر ١٩١٩م توسطت السلطة الافرنسية عن طريق صديق الانتداب " محمد بك الجركس " صاحب قرية قسطون لإنهاء ثورة بركات في ضواحي أنطاكية ... كما أنه جاء إلى إدلب وحل ضيفاً على يحيى بك آل بكباشي وحدثه عن تفاقم ثورة بركات وموفد من قبل الآفرنسيين لفض ثورته.. إلا أنه عاد في خفي حنين .. " ص١٨١"

يوسف السعدون والشهيد أحمد تكللي، وهي ثورة على اتصال دائم بثورة كفرتخاريم ويأتيها السلاح عن طريقها وحكومة حلب، ولكن المساعدة الأخرى كانت تأتي من دمشق.

لقد " منع الإنكليز الشريف حسين من إرسال المال إلى ابنه زيد في سوريه في ربيع عام ١٩٢٠م خشية وصول هذا المال إلى هنانو[1] " وظلت مستمرة إلى أن احتلت حلب في ٢٣ / ٧ / ١٩٢٠م وكذلك إدلب وينسحب هنانو من حلب إلى كفرتخاريم، لينسق هناك مع نجيب إمكانية تجنيد المجاهدين بعد أن أحرق أثاث بيته ، كي لا يرتبط بمكان معين،ومن ثم ذهب هنانو إلى مزرعته [تسمى بارودة] في ناحية القصير [هي الآن في نواحي إنطاكية شمال الجسر] والتي هي أرض عربية، وهو فيها يفاجأ باحتلال حلب ودمشق من قبل غورو.

٣-إعلان الثورة: لم يقف الزعيم مكتوف الأيدي على ما حل بسورية وعاصمتها دمشق فدعا إلى " اجتماع تاريخي في إدلب حضره بنفسه، وألقى فيه بياناً ألهب النفوس وحثهم على إضرام نار الثورة في جميع أنحاء المناطق " وهي التي أرسلت ممثليها من المجاهدين في إنطاكية وجبل الزاوية وريحا وأورم الجوز ومعرة مصرين والريحانية والعمق وجسر الشغور وحارم.

ومن أبرز الشخصيات التي حضرته صبحي بركات (من إنطاكية) يرافقه سكرتيره الخاص قريد وعمر البيطار وعبد العزيز آغا هارون عن لاذقية و

كان يحيى بك نائب إدلب ومن شخصياتها المهمة ، كما كانت العلاقات الاجتماعية والثقافية بين إدلب وأنطاكية وثيقة ".

[1] د. رافق بحث في مجلة دراسات تاريخية عدد ٢٠/١٩ عام ١٩٨٥ ص٦٨



الصورة ٧- اجتماع إدلب لإعلان الثورة في آب ١٩٢٠م بقيادة إبراهيم هنانو (×)

مصطفى الحاج حسين و عارف الآغا ومحمد دربالا عن جبل الزاوية وشعبان آغا عن ملس وعمر آغا الدويدري و وحيد آغا المعلم ومنير آغا الفنري والأستاذ كامل الكيالي والدكتور حكمت الحكيم عن مدينة إدلب والحاج سعيد النائب عن ريحا والحاج محمد الخربوطلي عن أورم الجوز والحاج خطيب بدلة عن معرة مصرين وعبدو بدران عن الريحانية وحسيب النجاري ومحمد الأهدلي عن جسر الشغور . وتم الاجتماع في دار قائمقام إدلب المرحوم عمر زكي الأفيوني الطرابلسي (الصورة٧/٨) حضره قائد الدرك بإدلب هاشم بك جمال. وبعد المناقشة أقروا ما أدلى به هنانو من اقتراحات ومنها سفره إلى تركيا مع بعض رفاقه، لطلب المساعدة بالسلاح والذخيرة. وتفرقوا للقيام بالثورة وشن

الغارات على الفرنسيين، وأصدر مفتي الثورة فتواه بالجهاد في ٢٥ تموز ١٩٢٠م.


الصورة ٨ – قائمقام إدلب
عمر زكي الطرابلسي
(١٨٩٣-١٩٥٣) م اجتمع هنانو في بيته بإدلب مع الثوار ليعلن الثورة

وأما هنانو فقد تلقى رسالة من الأمير زيد شقيق الملك فيصل (من حماه) يقول له فيها (داوموا على أعمالكم السابقة لا تصغوا لأوامر حلب)، لذلك أوفد الزعيم قائد ثورة الشمال نجيب عويد إلى منطقة المعرة للاتصال بثوار جدد، وبعد أربعة عشر يوماً، انتقل خلالها بين إدلب والمعرة وجبل الزاوية وحلب، قال له : لا أمل في ثورة في هذه البلاد، ولا يوجد من يتشيع لها أو يسعى. أثار هذا القول غضب هنانو مقرراً الجهاد عن التقاعس.

لذلك دعا إلى اجتماع في كفرتخاريم و برئاسته " ونحن في دار الزعيم دخل علينا رسول أعطانا ١٥٠ ليرة عثمانية . هذا كل ما يملكه الزعيم، ونجيب عويد استبدله بعملة فضية، معلناً أنه من الأمير زيد، وأن السلاح والمال في طريقه إلينا. وتقرر راتب شهر سلف للثوار، لشد عزيمتهم وتشكلوا من أربعين رجلاً في ٢١ آب ١٩٢٠ . وفي ١٣ آب ١٩٢٠م يصل هنانو إنطاكية، عسى أن يجد مؤازرين له، وفي اجتماع له في أحد البساتين يسعى الفرنسيون لمحاصرته ، ولكنه يتمكن من الابتعاد عن الخطر.

وفي اليوم التالي يجتمعون في البساتين ويتصل بركات معه، وتوزع الرواتب، وليصبح عدد الثوار(٧٥) مجاهداً .. وفي ١٣ آب ١٩٢٠تسير حملة فرنسية

من حلب قوامها لواء كامل للقبض على زعماء الثورة في كفرتخاريم ودخلتها في ١٥ آب دون مقاومة لتغيب المجاهدين في منطقة القصير، والزعيم في إنطاكية . لذا جمع قائد الحملة وجوه كفرتخاريم طالباً منهم أولاً بلزوم حضور جميع وجوه القصير بين يديه وتقديم الخضوع له. وثانياً تسليم عشرة مجاهدين سماهم لهم[١]. تم له الطلب الأول إذ مثل الكثير من تجارها ووجهائها، كما كان يرافقه بعض وجهاء قضاء حارم ..؟ هدد وتوعد، لكنهم اعتذروا عن جلب المجاهدين له وأين هم ! لذلك قرر انتقاء عشرة بديلاً عنهم[٢] وأخذهم أسرى إلى سجن قلعة حارم، وفرض عليهم الأشغال الشاقة، ولا يطلق سراحهم إلا بتسليم العشرة من المجاهدين، وبعد مضي ثلاثة أشهر على سجنهم، سرحوا بفدية مالية ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية، وبعد سراحهم ظلوا بالفراش أشهراً.

في ١٧ آب يعود الزعيم وصحبه إلى مسقط رأسه، ليجتمع مع الأهالي ويروون له ما حصل، وقد كان قد مضى على استلام حلب ثلاثة أسابيع ولما كان المال عنصراً أساسياً في استمرار الثورة، شكل هنانو حكومة مدنية مقرها قصبة أرمناز برئاسة القائمقام علي كامل الجمالي يعاونه الرئيس حسن الجسري، إذ كان يعتبر نفسه استمراراً للحكومة العربية بدمشق، ولم يفكر يوماً بالاستقلال وظل موالياً للملك فيصل، لذلك حين تراجعت ثورته لجأ إلى أخيه الملك عبد الله في الأردن وكما سيرد!. لقد فكر الزعيم ألا يتخلى عن هؤلاء المعتقلين الأبرياء ساعياً إلى فك أسرهم، لكن المعلومات التي وردته أفادت أن الظروف

---

[١] وهم : " نجيب عويد ومصطفى عويد وإبراهيم عويد ومحمد ممو وجميل عباس وسعيد عباس والحاج درغام درة وعبد الرحمن قره دامور ومصطفى أبو درويش ومحمد علي جمعة ".

[٢] منهم : محمد رجب وبشير الكيالي ورأفت عمر الكيالي ورشيد عارف الكيالي وحمود خميس ويوسف الدبلْ .

لا تتيح لـه ذلـك، والإمكانيـات قـد ضـعفت، ففكـر بالاتصـال مـع الأتـراك الـذين يحـاربون الفرنسـيين فـي كيليكيـا،و لمـا طلبـه لـم يحقـق عـاد إلـى قريـة اسـقاط[1] لتنظيم رجالـه، وفـي ليلـة اجتمـاعهم فـي أحـد البيـوت فـي أول أيلـول١٩٢٠،كـي ينطلقوا إلى سهل العمق لحض أهلها على الثورة يرسل مختار القرية إلى ضابط حامية حارم، يعلمهم بوجود سبعين مجاهداً في قريته وحدد لهم الدار.

وبسرعة يرسل الضابط الفرنسي سرية من المغاوير تعدادها مئتي جندي، كلفهم بإحاطـة القريـة، والقبض علـى المجاهدين. وعنـد بزوغ الفجر تشاهدهم امرأة مـع أنهـم ارتـدوا اللبـاس الفلاحـي للتمويـه، وعرفتهم مـن لكنـتهم الأجنبيـة، وبسـرعة أعلمت الثوار، فانقسموا لثلاثة فرقاء، وحين شاهدوهم يرتدون مثلهم، أمر هنانو رجالـه الزاحفين في أزقة القريـة أن يتواروا ويتحصنوا وراء الجدران..طال انتظار الفرنسيين للمختار... وحين وصلت الدورية فوجئت

بحصـارها ورمـي أسـلحتها، لكـن قائـدهم أمـرهم بفـتح النـار، وبعـد سـاعتين مـن الالتحـام القريب،توضـح الموقـف عـن خسـارة الفرنسيين،واستشـهاد ثلاثـة مـن الثوار[2] وجرح واحد ، ومن العدو أربعة وعشرون قتيلاً بما فيهم قائد الحملة [3] ومـن الغنـائم ٦٥ بندقيـة، وعشـرون قنبلـة يدويـة وسـبعة جيـاد. وأمـا المختـار فقد جرت له ولرسوله محكمة ثورية ترأسها نجيب عويد. وبعد اعترافه " إننـي أعترف بـأنني خـائن " حكـم عليهمـا بالإعـدام رمياً بالرصـاص وبحضـور المـرأة البطلـة قائلـة لقريبهـا الرسـول:" إننـي لا أتشـرف بـأن أراك حياً فـي هـذه القريـة". وكانـت هذه المحاكمـة نـواة لمحكمـة ثوريـة دائمـة. وأوردنـا آنفاً أن الحكومـة المدنيـة فـي

[1] إسقاط قرية شمال سلقين في منطقة حارم محافظة إدلب.

[2] وهم مصطفى عويد شقيق نجيب و محمد ذهبي وعبدو الهندي من قرية اسقاط.

[3] وفي رواية ٤٣ جندياً فرنسياً . منهم رئيس القوة الفرنسية كجان وفي جيبه رسالة المختار.

أرمناز، رتبت أمورها المدنية وتنظيمها الإداري وقد أمرت بإسقاط جميع الضرائب عن المواطنين إلا اثنتين، ضريبة العشر وضريبة المواشي.

ذكرنا آنفاً أن من نتائج الاجتماع التاريخي المنعقد بإدلب هو الاتصال بتركيا، لطلب تزويد الثوار بالسلاح والذخيرة لذلك سافر الزعيم في أواخر شهر آب ومعه شقيقه عقيل هنانو يرافقه الملازم إبراهيم الشغوري وثلاثة مجاهدين هم نجيب عويد وعقيل الاسقاطي وهزاع أيوب.

وهناك في مرعش – في تركيا – يتم الاتفاق[١] ويستلم هنانو كدفعة أولى مدفعاً جبلياً واحداً وخمسة رشاشات وخمسة وعشرون صندوقاً من الذخيرة وعدداً لا بأس به من القنابل اليدوية، وعلى أن يمدوه بالسلاح عند الحاجة، والغريب في الأمر أن الكثير من المؤرخين لسورية قالوا سقطت الحكومة العربية بإعلان استسلامها ولم يدركوا أن هنانو في ثورته، لم تكن ثورة لمجرد الثورة بل هي استمرار للحكومة العربية بدمشق، وإلا لما شكل حكومة في أرمناز، ولما تعاقد معه صلاح الدين عادل بك قائد الفيلق الثاني التركي باسم الحكومة العربية السورية، والحدود مفتوحة للتعاون العسكري .

تم التوقيع في ٧ أيلول ١٩٢٠م وكما ذكر الشغوري : (وبعد يومين حملنا ما يمكن حمله من عتاد وعدنا أدراجنا إلى سورية)... وفي ١٦/أيلول /١٩٢٠م، أعلن الزعيم هنانو الثورة على الفرنسيين رسميا وأذاع المنشور التالي مطبوعاً:

من العرب إلى العرب ...

---

[١] يذكر المجاهد الشغوري الذي رافقه في مذكراته أنهم رفضوا أول الأمر وتريثوا خمسة أيام، حتى تحقق مخابراتهم في الأمر، وحين علموا ما فعله بعلمهم في إنطاكية وما قاله تعاقدوا معه الند للند " وهذا التصرف - برأي فايز - يدل على حنكة سياسية عند هنانو.
ننوه كذلك إلى جلبهم السلاح من ألمانيا فيما بعد، عبر البحر بواسطة تجار أرمن إلى حلب، ثم إلى إدلب ،وإلى حماه أيضاً.

ما بالكم ترضخون صاغرين لحكم المستعمرين الجائر، وأنتم خير أمة خلقت لأن تحكم بالعدل، ولا تحكم بالظلم، يتسلط عليكم الفرنسي بنقض عهد وخيانة سودت وجه التاريخ، ولا سيما تاريخ فرنسا الذي يدّعون مجده، وهو يقول لكم إنه جاء منتدباً لحفظ بلادكم وصيانة استقلالكم وما ذلك إلا إفك مبين. بعد ما حاربتم معه كتفاً لكتف في سبيل استقلالكم خانكم وهزأ بدماء شهدائكم وما كانت جريمتكم إلا أنكم من أبناء الشرق المسلمين، أبناء الشرق أحط من البهائم في شرع المستعمر الفرنسي يقتلون ويقتلون لتقام فوق أجسادكم عروش السفاهة في منتزهات الشانزيليزيه في باريس وأنتم غافلون.

استولى على بلادكم، أجلى ملككم، أقفل مؤتمركم، بدد جندكم، اعتقل وجهاءكم، هتك أعراضكم، أحرق قراكم ثم باللامركزية[1] فرق شملكم، كل هذا وأنتم بمواعيده تثقون ولولايته عليكم راضون، ومن يتولهم منكم فإنه منهم أفلا تتذكرون. يتخذ الأديان الطاهرة ستاراً لمطامعه ويقول لإخوانكم المسيحيين أنه جاء لينقذكم من الظلم في الوقت الذي يسحق فيه ملايين النصارى في ألمانيا وروسيا وأوستريا (النمسا) إذ هو لمن أشد الملحدين.

يا بن سورية العربية لقد أصبح وطنك الغالي مهرقاً بالدماء فانهض من كبوتك، وحافظ على حريتك وأديانك و لا تنخدع بالضلالات والمراوغات فتندم ولات ساعة مندم . واعلم أن نصيبك سوف لن يكون أعدل من نصيب إخوانك الجزائريين و العرب الذين احتلت بلادهم، والذين يموتون في أوطانهم وخارجها بالألوف وعشرات الألوف، انظر إلى وجدانك، ترى أرواح الأنبياء، ترفرف فوق رأسك، تبشرك بالنصر المبين، وتدعوك للدفاع عن وطنك مهد الهداية والنبوة .

---

[1] هنا يتجلى وعي هنانو بنوايا الاستعمار في تجزيء البلاد.

فما عليك إلا أن تموت شهيداً لكي تحيا حراً سعيداً، لأنك مسؤول أمام الله والتاريخ عن أمانتك المقدسة، لوطن أحفادك و مرقد أجدادك، و لا تنظر إلى من باع دينه ووطنه من المفسدين).

ولكي يعبئ الرأي العام رافق منشوره بفتوى من مفتي الإتحاد الإسلامي .

* *

كذلك في الشهر نفسه /أيلول/ بعث برسالة إلى القناصل الأجنبية :

يا حضرات قناصل الدول المحترمين

إننا لا نقصد من قيامنا هذا إلا حفظ استقلالنا ليمكننا تأسيس موازنة عادلة على أسس الحرية والمساواة بين جميع الطوائف، لهذا أظهرنا رغائبنا السياسية أمام اللجنة الأميركانية ونعني بها لجنة المستر " كراين " الاستفتائية، وصرحنا برفض انتداب فرنسا لما نعهده من تطرفها ومطامعها في بلادنا، ولكن أبى مؤتمر (سان ريمو) إلا أن يغلبنا على أمرنا ليجعلنا ضحية المطامع الجائرة، خلافاً لمواعيد الحلفاء وقواعد " ولسون " الحقة. إن هذا القرار الذي جرح عواطفنا نحن السوريين وهزئ بآمالنا السياسية قد جعل سورية الجميلة مرتعاً للضحايا، ومهرقاً لدماء الأبرياء تحقيقاً لمطامع الاستعمار.

وفي هذه الساعة التي تموت فيها الألوف في كل أنحاء سوريا من حوران إلى إسكندرون ، أناشدكم بحق الإنسانية أن تتوسطوا لدى دولكم الضخمة كي تضع حداً لسفك الدماء الذي سببه عناد المستعمر، إذ لا يمكن الأمن والسكون في بلادنا ما لم تغادرها فرنسا التي تسعى بالتفرقة ليمكنها التسلط والاستعباد.

هذا وإنا لا ننفك ندافع عن أوطاننا حتى الموت ، فلسنا بمسؤولين عما يسفك من الدماء في سبيل غايتنا المشروعة نحو السوريين نموت ونتبلشف – أي نصير شيوعيين – ونجعل البلاد رماداً ولا نخضع لحكم الظالمين.

* *

ثم قرر متابعة العمل ميدانياً، في تقسيم المنطقة الشمالية إلى عدة مناطق ثانوية أوكل الأمر في كل منطقة لرئيس شجاع كما سيلي:

١. منطقة القصير وتضم ٤٠٠ متطوع بقيادة الشيخ يوسف السعدون،
٢. منطقة كفرتخاريم وتضم ٢٥٠ متطوعاً بقيادة نجيب عويد،
٣. منطقة جبل الزاوية وتضم ٢٠٠ متطوع بقيادة مصطفى الحاج حسين،
٤. منطقة جبل صهيون (منطقة الحفة – اللاذقية) وتضم حوالي ١٥٠ متطوع بقيادة عمرالبيطار.

ويذكر الشغوري ((أن وفداً قدم من صهيون على رأسه عمر البيطار – والذي لقبه بـ الرئيس في مذكراته – للاتصال بالزعيم والانضمام إليه وكذلك اتصل به العلويون هناك وعلى رأسهم الشيخ صالح العلي)) وهذا يغاير ما يقال عنها فقط ثورة الشمال ، بل هي ثورة الساحل أيضاً، أهم ما يميزها عن الثورات العادية أنها تجبي الضرائب من السكان فتدفع منها الرواتب للثائرين المحاربين.. وكان نصيب الثائر النفر عشرين مجيدياً (عملة ذلك الزمان) في الشهر والأومباشي وللجاويش ثلاثون ، أما الضابط فله أربعون، ولقائد المنطقة عشر ليرات ذهبية، كما لعبت الثورة دوراً هاماً في تأديب العصاة اللصوص الذين والوا فرنسا.

* *

ومن المعارك الأولى **معركة الحمام** التي وقعت في ١٩٢٠/١/٢٢م والتي شارك فيها أكراد المنطقة وهي تقع في شمال شرق سهل العمق عند الريحانية، حيث وضع فيها الفرنسيون حامية ، وقد هاجمها الثوار وأبادوها، ثم تابعوا ليقبضوا على بعض الرهائن وأخلوها بفدية، ثم التحق هؤلاء في الثورة التركية التي قامت في عينتاب ومرعش، ولم يقطعوا صلتهم بإخوانهم الثوار، إذ شارك بعضهم في الهجوم على الحامية في قلعة حارم فيما بعد.

٣- معركة الجسر : يمكن القول أن الثورة بدأت تأخذ أبعادها الجغرافية في التنقل من منطقة إلى أخرى، وما معركة الجسر إلا إحدى المعارك الكبرى التي عدلت موازين القوى العسكرية في الشمال السوري، خاصة في الجانب الفرنسي، ولكن لنقرأ معاً تقرير الكولونيل الفرنسي (نيجر) وحملته على بلاد العلويين، وحول تهدئة بلادهم: " ومنذ وضعت بلاد العلويين تدريجياً هي وباقي الساحل السوري، تحت الانتداب الفرنسي ١٩١٨ – ١٩١٩، لم تخضع في البداية لأية عملية منهجية من قبلنا ... أما (رستة) فكانت مركزاً أكثر خطورة بسبب وجود الشيخ صالح، رئيسها الوراثي . وكانت أوكلت إليه منذ البداية، من قبل الأمير فيصل كنائب عنه في بلاد العلويين، وكان يتلقى منه العون الواسع والمعلومات الدقيقة ... وكانت بلدة جسر الشغور، الواقعة على جانب العاصي على مقربة من الزاوية الشمالية – الشرقية لبلاد العلويين، أصبحت مركزاً خارجياً للمحرضين الذين يثيرون ضدنا سكان المنطقة الداخلية السنية في صهيون باسم رشيد بك الحاكم السابق للاذقية، والحاكم الشريفي لمقاطعة حلب (...) ... ويتابع الكولونيل نيجر في تقريره " ... وبعد تمرد أول كانون الثاني

– آذار ١٩١٩ أعلن (الثوار) استقلال الجسر (آذار – ١٩٢٠) م ومنها أتوا لمحاصرة حاميتنا في بابنا (١٦– ٢٢ نيسان ١٩٢٠) م.
بعد انكسارهم أخذوا يرحلون وجهاء سنة صهيون إلى الجسر ... " . " ...
وبعد اختفاء فيصل في أواخر تموز ١٩٢٠م أخذت الحركة الكمالية التركية، انطلاقاً من مركز مرعش، على عاتقها التنظيم الموجه ضدنا من قبل الوحدويين العرب، والتي بدءا من تشرين الأول ١٩٢٠ م إلى كانون الثاني ١٩٢١، دعمت الشيخ صالح ودفعت سنة الجسر وصهيون لغزو الشاطئ كما نجحت في تسريب فوج تركي عبر قضاء حارم وصولاً إلى الجسر..."[١] إن كل ما رواه هذا الضابط، والحاكم الإداري لبلاد الساحل صحيح، لأن وثائق ثورة هنانو توضح ما حدث... وكذلك ماوضحه لنا العياشي في كتابه صفحة – ١٩٣– وهكذا فقد أصبحت جسر الشغور منطقة نفوذ لثوار هنانو ومصطفى الحاج حسين ونجيب عويد .. وغيرهم من القواد في شهر شباط ١٩٢٠م، وبعد ذلك اجتمع هنانو بقواد الثورة وتداولوا بأمر التوجه نحو قلعة صهيون لتطهيرها من كتائب الفرنسيين.
وكما سيرد في الفصل الرابع، إذ بعد ما نظمها، ووزع منشوراتها، وصل رسول من الشيخ صالح العلي إلى مقر الزعيم وهو أنيس أبو فرد، وعرض عليه التعاون بين الثورتين، فرحب هنانو بذلك كل الترحيب، لأنه يدرك ما يريده الاستعمار من ضرب الثورات السورية، وكذلك لكي يطوق الفرنسيين في الساحل بفتح جبهتين لهم الغربية يقودها صالح العلي والشرقية يقودها هنانو لذلك بين للرسول عن خطته الذكية والتي انطلت على الفرنسيين، بأن تقوم قوات المنطقة الشمالية باحتلال جسر الشغور، لكي تستند بذلك كل ثورة على

[١] كوثراني : بلاد الشام ص ٢٧٣ عن تقرير الكولونيل نيجر.

أماكن نفوذ الأخرى وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠م قرر ثانية مداهمة جسر الشغور ومعه ثلاثة سرايا من المجاهدين سرية مجاهدي منطقة حلب بقيادته الخاصة وسرية مجاهدي منطقة القصير بقيادة الشيخ يوسف السعدون وسرية مجاهدي جبل صهيون بقيادة السيد عمر البيطار وفي ٢٧ / ١١ / ١٩٢٠ م اجتمعوا في قرية عامود من قضاء جسر الشغور. وفي منتصف ليلة ٢٧ وصلوا إلى مزرعة الشغارية ٣ كم شمال غرب الجسر وتناهى لسمعهم وجود سرية فرنسية ترابط في المزرعة المقابلة (مزرعة السيجري) ، ورغم مناعة تحصيناتهم، فقد قرر هنانو تطويقهم بين فكي كماشة حتى الاستسلام، فأوعز ليوسف السعدون الالتفاف حولهم مع سريته، على أن يأتيهم من الوراء والبقية من الأمام. وتم التنفيذ بسرعة وبشكل سليم، وحقق النصر بعد معركة استسلموا فيها، وجرح منهم الملازم الأول بهجت البابا، وتم أسر الفصيلة ومعها ضابطها و ٢٥ جندياً وفصيلتا أقليات عددهما ٥٧ رجلاً بأمرة ضابط أيضاً ، وغنموا مدفعي رشاش وأربعين بغلاً وكمية من الذخيرة والأرزاق المحفوظة. ثم أرسل إلى آمر الجسر بالاستسلام وأعطاه فرصة . وفي الصباح كان فيها قوتان ألقيا السلاح حوالي ستمائة جندي فرنسي وعامل، هرب بعضهم واختبأ حوالي ٥٠ جندياً في البيوت.   وأما المجاهدون فلم تقع بينهم خسارة في الأرواح، واستقبلهم الأهالي استقبال الأبطال . ومن الغنائم يرسل الزعيم المساعدة العسكرية(بالسلاح) إلى منطقة لاذقية أثار هذا الخبر السلطة الفرنسية، فقامت بتسيير حملة قوامها لواء مفرز ٢٥٠٠ جندي من حلب لاستعادة الجسر، ومن الطبيعي ستمر بإدلب ... ولكن يتمكن الفرنسيون من استعادة بلدة جسر الشغور في ١٨/١٢/١٩٢٠م ويعدون الحصون المنيعة فيها لكي لا تتكرر الأحداث السابقة.

*   *

٤- معركة إدلب في٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٩م:

لم يكن خفياً على الزعيم هنانو معرفة خطة الفرنسيين، لذا قرر مداهمتها قبل وصولها إلى الجسر، وأرسل من يكشف خط سيرهم، كما أرسل لمجاهدي كفرتخاريم (للحضور الى إدلب) وملاقاتهم هناك لكي يعرقلوا سيرها.

كلف نجيب عويد تنفيذ هذه المهمة، فتابعها حتى وصلت إدلب، وفيها علم الفرنسيون أن المجاهدين قد تركوا الجسر إلى كل المنطقة فقرر قائد الحملة الإتجاه نحو كفرتخاريم.

أما عويد فقد موه نفسه و اختلط مع أعوانه بإدلب، واصطف مع الأهالي المتفرجين على أفراد الحملة عند مغادرتهم إدلب ويقول الشغوري في مذكراته " أنه في ليل ٢٩ تشرين الثاني[١] التقى بنجيب عويد ودخلوا أطراف مدينة إدلب في الغسق مستفيدين من الظلام. وقرروا مهاجمة الحملة حين مغادرتها إدلب من الخلف أو من أحد الجانبين " ومن الجدير بالذكر التنويه بما قام به الشهيد الوطني المرحوم عبد القادر النجار بإعلام الثوار عن نية الحملة الفرنسية

---

[١] العياشي ذكر الحدث في ٢٦/تشرين الأول صفحة ٢١٥ ، و ذكر الجندي الحادثة في ٢٠ / ١ / ١٩٢٠ ص ٦٨ وفي ص ٧٦ أكد الحدث ٢٩ / تشرين الثاني ١٩٢٠ وهو الأصح بموجب مذكرات المجاهدين وسير الأحداث.

التوجه إلى حارم لتعقبهم، ولكن أحد الخونة يشي به إلى الفرنسيين فيعدموه فيما بعد بإدلب وأما معركة إدلب فقد وصفها لنا الملازم الشغوري وكذلك الشيخ يوسف السعدون " قبل بزوغ الشمس بدأ الجنود الفرنسيون يغادرون الثكنة في إدلب نحو كفر تخاريم وما كاد آخر جندي يجتاز موقع وادي العقيبة [قبل الملعب البلدي الآن] حتى انصبت النيران من الخلف ومن الجانب الأيسر فاختل النظام وعاد بعض الجند إلى داخل المدينة للاحتماء، كما تمركزت السرايا الأمامية وردت على النيران بأشد منها، وقد تسلق من كان في المؤخرة من الجند أسطحة المنازل المشرفة على مواقع المجاهدين، وركزوا رشاشاً أمطرهم، وذهب شهيداً كل من البطلين سعد عباس ومحمد الزردي كما أصيب في يده الرقيب محمد ممو، وما أن شفي حتى عاد للنضال، كما أصيب المجاهد ثابت المصري. وقد قذفوا إدلب حوالي ثلاث ساعات قتل فيها أحمد القلعجي قائد درك إدلب وهدمت الأماكن والجدران كما أسر الفرنسيون معاون قائد الدرك بإدلب مصطفى حكمت العياشي وساقوه أمام الجيش إلى قلعة حارم وسجن فيها ثلاثة أشهر كرهينة حرب. انسحب المجاهدون يحملون شهيديهم وجريحيهم إلى أشجار الزيتون كشراذم وبسرعة انطلقوا، وهم يطلقون على الجند الفرنسيين حتى أصابوا بعضهم، وظلت المناوشات تشتد وتضعف حتى وصلت الحملة إلى جبال حفسرجة قبيل الغروب " [أي جبل الأعلى الآن].

أما سعدون (الصورة ٩) فيصف لنا توجهات " الزعيم حين عين الجهة التي يأتي منها نجيب إلى إدلب وهي من شمالي المدينة وهو سيزحف عن طريق جبل الزاوية – ريحا ليأتي إدلب من الجنوب وبرفقة ثوار من كفرتخاريم والقصير وبعض من ثوار جبل الزاوية " وأما نجيب عويد فقال موجزين " كان معي حين دخلت إدلب من الشمال ثلاثين مجاهداً.

وكنت قد ظللت وأنا في طريقي في قرية ملس[1] عند شعبان آغا أن يمدنا بالمسلحين الذين عنده. فقال اذهب أنت أمامي وأنا سأتبعك بمائة مسلح والوعد بقرية الشيخ علي قبل إدلب بـ ٣ كم فذهبنا وانتظرنا طيلة النهار والليل حتى الصباح، ولم يحضر أحد من قبله، ولما كان ذلك النهار المعين لنا



الصورة ٩ – المجاهد الشيخ يوسف السعدون من مواليد جسر الحديد ١٨٨١م والتابعة لمنطقة إنطاكية . من أوائل المجاهدين القادة . أمضى بقية حياته في سلقين ثم حلب . كان من المحررين لكفر تخاريم وسلقين والجسر عام ١٩٤٥ . توفي عام ١٩٨٠م.لقبه الشغوري بالعصامي الشيخ وبالمجاهد الشيخ، وقائد المنطقة الأولى في ثورة الشمال

من قبل إبراهيم بك لدخول بلدة إدلب، اضطررنا للذهاب بهذه الفئة الثلاثين وإن كانت قليلة العدد، فوصلنا إدلب مع طلوع الشمس، ودخلنا البلدة من

[1] ملس: قرية تابعة لناحية أرمناز - منطقة حارم وهي في وادٍ بين جبلي الدويلة والأعلى على طريق إدلب – أرمناز - حارم.

الجهة الشمالية، فوجدنا اثنين من خيالة العدو، فقبضنا عليهم، ورديناهم معنا، ثم جعلنا حرساً من بعضنا على منافذ المدينة، وتقدمنا، فرأينا فرقة من الجند تتأهب للسفر عن المدينة، ويوجد عندها من الخيالة ما قدرناه بأربعمائة خيال، هذا بصرف النظر عن المشاة، و عندهم ستة مدافع، فوضعنا البواريد داخل العبي، واختلطنا بالمتفرجين من أهل البلدة. فلما رفعوا الأثقال على ظهور الدواب وباشروا السير على الطريق الغربي الموصل إلى كفرتخاريم، انتظرنا مؤخرتهم، حتى باشرت السير فأخرجنا البنادق من تحت العبي، وأطلقنا عليهم، طلقة رجل واحد، فتساقطوا على الأرض تساقط أوراق الشجر في آخر تشرين الثاني وفر الأهلون المتفرجون واحدهم ينادي عقمت النساء أن يلدن مثل هؤلاء وارتد من هو قريب من الساحة وحمي وطيس الحرب، وتكاثر علينا الجند، وبلغت الأرواح الحناجر، واستشهد منا أربعة أحدهم ابن عمتنا سعيد عباس، وقتل من الجند ثلاثة وستون قتيلاً، ودامت هذه المعركة في إدلب ثلاث ساعات، ولم يحضر من يناصرنا من جميع الأطراف حتى ولا من أهل البلدة . وبعد ذلك جاءت طلائع الثوار الذين يرافقون إبراهيم هنانو فيهم بعض الطماعة ممن صحبه من أهل القرى وبعض الصهاونة [أي من منطقة الحفة في اللاذقية لأن قلعة صلاح الدين هناك كانت تدعى قلعة صهيون - فايز] فلما وصل ومن معه إدلب وعلم أن فرقة من الجند زحفت تغريباً تقصد كفرتخاريم تابع سيره على إثرها لصدها عن بغيتها ".

* *

٥- معركة كفرتخاريم والمعارك التي جرت حولها:

بعد معركة إدلب صمم الفرنسيون الانطلاق نحو كفرتخاريم مركز الثورة والتي وصلوها عصر اليوم التالي، بعد أن وقعوا في كمين قرب قرية تلتيتا في جبل الأعلى، وفقدوا فيها ٤٠ جندياً ولم يسقط من المجاهدين سوى ثلاثة شهداء[١] وانسحب الباقي إلى الجبل الغربي. في الصباح ضُرِبت كفرتخاريم بالمدافع لكن المجاهدين يرددون الله أكبر، وبدأت المعركة الشديدة، والأعداء يتساقطون بالعشرات في الكمائن التي نصبها لهم المجاهدون، وهنا أمر الزعيم إبراهيم الشغوري السير إلى موقع العقبة لمواجهة الحملة، حتى يتمكن من إلحاق الضرر بهم، ولكنهم تمكنوا من اجتياز ذلك الممر الحصين المسمى العقبة نحو كفرتخاريم، وتمكن من إيقاف تقدمها عدة ساعات، وطُلب من أهاليها الإخلاء خشية عليهم إلا العجزة حتى المساء وهكذا دخلوها الساعة ٣ بعد ظهر ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ وانسحب المجاهدون إلى جبل الدويلي، لإعادة الكرة. ونكل الفرنسيون بالعجزة وألقوا المصاحف في المراحيض، وبعض الجواسيس أرشدوهم إلى بيوت الثوار فألحقوا بها أضراراً مع إشارات عليها لنسفها مستقبلاً. أما المجاهدون فقد اجتمعوا في إحدى المغارات [هي الحصن الآن في جبل الدويلي] وظل القتال مستمراً أربعة أيام من كفرتخاريم إلى جسر الشغر إلى إدلب وأقسم نجيب على الانتقام وانقسموا إلى ثلاث فئات فدائية (عددهم ثلاثون انفردوا عن رجال هنانو). تم إرسال وفود إلى القصير وسلقين وغيرها تدعوهم للجهاد. وأما الجند الفرنسي فقد بات ليلتين في الثكنة العسكرية في كفرتخاريم (هي من زمن العثمانيين) وبعد منتصف الليل (أوائل كانون

---

[١] استشهد هنا الحاج يوسف الأفندي و محمد أسد والثالث جريح.

الأول ١٩٢٠) م يدخل نجيب عويد البلدة وكانت إشارة السر لمن كان في الوديان أذان الله اكبر صباحاً، أعقبها الرصاص المنهمر على الثكنة، وجاء المدد من أبناء القصير وسلقين منهم الشهيد البطل عقيل الاسقاطي وشقيقه عبد الكريم عطا هاشم و محمد الشحف وناصيف الأحمد ومحمد عبيد حمزة عبدو شحود وحسن الخرفان من أرمناز وهكذا يمكن القول أن الفرنسيين وقعوا في كمين لا يخطر في بال وقد وصفه لنا في مذكراته (الشغوري و يوسف السعدون ونجيب عويد)[١] وقتل من الفرنسيين مئتان و ١٣٠ تركوهم في البقعة،

[١] ولندع قائد هذه الموقعة نجيب عويد يصفها لنا فيقول : (عند دخول العدو كفرتخاريم تفرق أهل المدينة أو كثير منهم بالجبال والأودية وكنت ترى منظراً يفتت الأكباد وتنفطر له المرائر من صراخ النساء وبكاء الأطفال و لا ماء لهم ولا زاد. فلما أمسى المساء ازداد بكاء الأطفال من شدة البرد فلما رأيت هذا المشهد المؤلم ناديت بملء صوتي في المجاهدين أين أهل المروءة والشهامة والنجدة ؟ ... فلبوني مسرعين قائلين : ماذا تريد ؟ ... فقلت : أريد جماعة يبيعون نفوسهم في سبيل الله رحمة بهذه النساء والأطفال، فقالوا : " حاضرون "، فقلت لهم أن يتبعوني . وفي أواخر الليل وصلنا أطراف كفرتخاريم فأحصيت من معي فإذا هم ثلاثون مجاهداً فجعلتهم في ثلاث فرق : فرقة تأتي العدو من الشرق وعليها محمد مامو ومصطفى أبو درويش وفرقة من الجنوب وعليها الحاج درغام درة والفرقة الثالثة كنت عليها مع عقيل السقاطي . فتوجهت كل فرقة إلى المكان المعين لها وتم الاتفاق بيننا على إطلاق النار عندما يسمعون صوتي بالأذان، وعندما بزغ الفجر وقفت فوق أحد القبور الواقعة على مرتفع غرب المدينة وناديت بصوت مرتفع أخاطب به من بقي من أهل البلدة في منازلهم : يا أهل كفر تخاريم لا تخافوا، ها نحن المجاهدون ضربنا نطاقاً حول البلدة و لا نطلب منكم معونة سوى الدعاء والتكبير لأن جمعنا يزيد على الثلاثة آلاف مجاهد . ثم رفعت صوتي بالأذان والتكبير وبعد ذلك باشرنا إطلاق النار وقذف القنابل اليدوية على الخيام التي فيها العدو فتراكض الجند مذعورين لا يعرف الخصم من أين يأتيه ولا الرصاص المتطاير متى يصيبه أو يرديه، والتهليل والتكبير يصم آذانه ؛ وحركات الثوار من جهات ثلاثة تهدم بنيانه . وما كادت الشمس تشرق وتضيء الكون بنورها ويتبين الخصم خصمه إلا وكانت الفئات المدعوة لشد أزر المجاهدين من أبناء القصير وسلقين في طريقها إلى ميدان المعركة تقترب منه وتستعد له، وكان العدو بنقص مستمر لكثرة ما يقتل أو يصاب من رجاله والمجاهدون بازدياد مستمر بما يرد إليهم من نجدات . وكلما تعالت الشمس كان الخناق يضيق على العدو حتى حشر حشراً في أرض منخفضة نسبياً وأحيط من جهاته الثلاثة على وجه التقريب ولم يبق له من منفذ إلا الشمال وكان لا بد له من قبول أحد أمرين : إما الفناء المحقق وإما التراجع القهقري وليس له من طريق إلا من جهة الشمال فآثر الحياة والخذلان على الموت

وانسحب الباقي نحو حارم . وفي صباح ٣ كانون الأول ١٩٢٠ يغادر حوالي ٤٠٠ جندي فرنسي قلعة حارم إلى قرية اسقاط، لتتهجم على بعض السكان يوماً كاملاً ثم إلى تل عمار ودركوش حتى وصلت جسر الشغور ثم حلب . وتلقى الزعيم تقريراً من عيونه أن الحملة الفرنسية تكبدت ١٠٥٠ قتيلاً . والمعركة معهم استغرقت أحد عشر يوماً . وفي كفرتخاريم أقام حكومة لها دركها وجباتها، والثورة بحاجة للمال لذلك أعلن في القصبات الثلاث، أرمناز وكفرتخاريم وسلقين وما جاورها ستأخذ الثورة ضريبة الأعشار عيناً لحلول موسم الزيت . وأما ضابط حارم الفرنسي ليمنع الثوار من ذلك أرسل ٣٠٠ جندي مسلح إلى سلقين، إن ضريبة الزيت هي له وستجمع خلال ٤ ساعات وإلا هدمت سلقين على من فيها . بوشر بجمع المال كله تقريباً، وعلم نجيب عويد ومعه ٧٠ مسلحاً بذلك وكمن لجباة الحكومة، وكان البلاء الحسن والظفر، وعادوا إلى سلقين ليستقبلوا بحفاوة مع إعطاء العشر للثورة، سكان أرمناز وكفرتخاريم اقتدوا بالدفع كسلقين.

كما تشكلت مفارز حماية من المجاهدين من ٢٠ – ٣٠ مجاهداً تتلقى تعليماتها من الزعيم قائد الثورة بالإضافة إلى قوة احتياطية في كل قرية وقصبة تلتحق بالمجاهدين كما تحصل معارك بين إدلب وحفسرجة وكفرتخاريم وسلقين وغيرها كثير ويطول عرضها لكن ما يهمنا هو أن المجاهدين في منطقة الحفة باللاذقية، قد اصطدموا معهم ثلاثة أيام، فتقرر قيادة حلب العسكرية إرسال حملة ضخمة انقسمت إلى رتلين أحدهما انطلق من إدلب في الجنوب وقد ضم سرية من كتيبة الرماة الأفريقيين التاسعة عشرة و ثلاث سرايا رشاشات وكوكبة

المحتم وانسحب شمالاً في غرب باتجاه حارم تاركاً وراءه ما يزيد على (١٣٠) قتيلاً بينما استشهد من جماعتنا اثنا عشر شهيداً مع عدد من الجرحى .

سباهي بقيادة اليوتنان كوهر البطارية الحادية عشرة مدفعية ٧٥ مم بقيادة اليوتنان شوديار والرتلان هدفهما تطويق ثورة هنانو، الأولى يتصدى لها الشيخ يوسف السعدون ... الثانية علم بحركتها المجاهدون، عندما اجتازت إدلب إلى الغرب " وعلمنا أنها ستجتاز مضيق دركوش، لكن هنانو ترصدها حتى وصلوا إلى الجبل الوسطاني، وهنانو ينتظر ... " ولكي لا نطيل على القارئ، فإن هذا الموضوع له بحث آخر إن شاء الله.

* *

هذا الوضع المقلق للفرنسيين، دفع بالجنرال غورو السعي لإنهاء الثورة مهما كلف الأمر، فيوعز لتجريد جيوشهم بقيادة الجنرال (دولاموت) في منطقة الحدود التركية، فجمع قواته الاحتياطية وألف جيشاً بأمرة الكولونيل (ده بيوفر) في شهر كانون الأول ١٩٢٠ لأنه علم أن الزعيم إبراهيم هنانو قد استولى على جسر الشغور، وأسر سرية من الرشاشات التابعة لفيلق الرماة الأفريقيين الثاني والعشرين بعد أن دافع رجالها عنها كل الدفاع، وبدت المنطقة كلها في ثورة، بل بلغ الحماس بالثوار الزحف نحو إدلب وحلب لتحريرهما من الفرنسيين. لذلك قرر الجنرال دولاموت إرسال التجريدة الجنوبية لترابط في إدلب، بتاريخ ٥ كانون الأول ١٩٢٠ ولننقل وصف الموقف الفرنسي في التقرير المنشور في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ((ولكن الكولونيل ده بيوفر لم يتردد بل عزم جريئاً على أن يجبه العدو فيزحف إلى الشمال ويسحق هناك جيش هنانو، ثم يتصل بعدئذ بجيش جديد، حيث يقطع عليه خط الرجعة جيش آخر كان ينتظر وصوله من اللاذقية ... وكان من نتيجة هذه الخطة أن تورط الجيش في منطقة جبلية جرداء، في حين كانت ذخائره محمولة على العربات. وتحتم إذن

أن توسق البغال فوراً. أعطي الأمر إلى الجيش المرابط في الحمام في سهل العمق،أن يبادر إلى وسق الدواب أيضاً وينطلق دون مهل إلى كفرتخاريم لموافاة جيش الجنوب)). وأما قائد الحملة الكولونيل ده بيوفر فقد قدم إلى إدلب قبل وصولها بيوم واحد، وفيها أعلموه، أن المنطقة كلها تحت السلاح، فالثوار المجاهدون يفوقون القوات الفرنسية بمراحل، وأنها على أفضل حال من التنظيم والتدريب والمعنويات العالية.

*

ظن (ده بيوفر) أن الفرقة التركية تقف إلى جانب الثوار ومجهزة بالرشاشات والفرسان، ومدفعية ذات ثلاث بطاريات من الجيش التركي النظامي، بينما الواقع قوة المجاهدين لم تكن تملك غير مدفع واحد. وظن أن قوات هنانو تتألف من سبعة ألوية، منها لواء الفرسان (لواء كفرتخاريم) الذي يقوده الزعيم إبراهيم هنانو، واثنان من منطقة صهيون [الحفة الآن في لاذقية] ولواء من جبل الأكراد، ولواءان من الأكراد، ولواء من جبل الزاوية، وكوكبة من القوات الوطنية، بحيث بلغ مجموعها خمسة آلاف من المشاة المدربين وثلاثمائة فارس تتألف منهم كوكبتان، وكان ذلك الجيش منتشراً في وادي نهر العاصي، منتظراً الزحف على إدلب وحارم ! وأما الفرنسيون بإدلب فقد كانوا مجهزين بمئة وتسعين بندقية وثمانين سيفاً، وبطارية من عيار ٧٥ ملم،وثلاث سرايا من الرشاشات. وكان كل ظنهم أن قوات المجاهدين تفوقهم. وكان الكولونيل " ده بيوفر " يرى استحالة الزحف بقواته الضئيلة هذه على جسر الشغور، وإنه إذا انثنى جيش الفرنسيين إلى حلب، كان رجوعه بمثابة دس النار في البارود، وإنه ليس لديه أية قوة احتياطية. وقد عزم الكولونيل " ديبوفر " أن يجبه الثوار بقواته الضئيلة، فيزحف إلى الشمال ليسحق جيش إبراهيم هنانو ثم يتصل بعدئذ

بجيش الشمال فينطلق بمجموع قواته إلى جسر الشغور، ويدفع الثوار إلى الجبل حيث يقطع عليه خط الرجعة جيش إفرنسي آخر كان ينتظر وصوله من اللاذقية، إلا أن جيش اللاذقية لم يصل، وكان من نتيجة هذه الخطة الفاشلة أن الجيش الفرنسي قد تورط في منطقة جبلية جرداء وكانت ذخيرته موسوقة على العجلات، وقد أبلغ الأمر إلى الجيش المرابط في الحمام (في سهل العمق) أن يبادر بالزحف إلى كفر تخاريم لموافاة جيش الجنوب.

وهكذا كان الفرنسيون يصدرون بلاغاتهم العسكرية بشكل مناف للحقائق لستر هزائمهم أمام هجمات المجاهدين وبسالتهم النادرة. ولنتابع التقرير الفرنسي" وفي صباح السابع من كانون الأول غادرت تجريدة ده بيوفر إدلب متوجهة إلى كفر سرجة [أي حفسرجة]. وكانت المعلومات التي وردتنا أمس ذلك النهار تشير إلى وجود بعض عناصر العدو متحصنة عند منتصف الطريق، في النواحي الغربية والجنوبية الغربية والشمالية، وقد جاء الواقع مصداقاً لتلك الأنباء. فلم تأزف الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعون، حتى انهالت على فرسان الطليعة نيران عنيفة، وإذا نحن أمام قوات إبراهيم هنانو وتدفق الرصاص على المؤخرة من تخوم إدلب. وهوجم جناحنا الجنوبي، بينما كانت زمر من العدو تغير على جناحنا الأيمن. فدارت رحى معركة عنيفة وضع فيها الكولونيل ده بيوفر جميع ما تيسر له من القوات، حتى أنه أنزل السائقين أنفسهم إلى صفوف القتال. وكانت تضغط على المؤخرة قوات خبيرة بأساليب المناورات ومتحرقة للقتال ... واستتمت حلقات تطويق جيشنا. فحدا اليأس بالقائد أن يعتزم مهاجمة الذروة التي تستقر عليها قوات هنانو، وتقف حائلاً دون مرور الجيش . وقرر أن ينجد الطليعة بإحدى سرايا المشاة، وبسرية رشاشات، وبكوكبة من الصباحيين، وأن

يعمل بعد ذلك على استجماع قافلة الذخيرة وسائر الجيش، بعد انتزاع ذلك الموقع، يقوم بالمحاولة نفسها على الموقع الذي يليه ... " وبعد أن يفيض الكتاب بمهارة وبسالة هذه القوى التي وضعت لتنجد الطليعة من قبضة عدد من المجاهدين لا يتجاوز المائة، وكانوا قد نفذوا عمليتهم بصورة باهرة، قبل أن ينسحبوا إلى خط قتال جديد، يستطرد التقرير قائلاً :

" وقد تكررت تلك المحاولات طوال سبعة أيام ... كان جيشنا يتخلص فيها من الكمائن والإغارات بفضل البأس والجرأة. على أن الخطر ما برح محدقاً به أي إحداق . فهناك في كفرتخاريم قوات وافرة من فرسان العدو، كما أن في إدلب يرابط جيش وطني آخر. مما اضطر القائد أن يرجع عن فكرة الزحف المستقيم، واعتزم أن يسلك المرتفعات غير السالكة . وقصد بذلك أن يتقي سدود العدو، ويؤمن على جناحيه في عصمة تلك السفوح الوعرة المنال والمرتقى. وبعد جهود شاقة وصل الجيش إلى تلتيتا. ولكن جماعات من الرماة كانوا متمنعين بين الصخور في ضواحي القرية ومزودين بذخيرة وافرة، فنفرهم جنودنا بقذائف الهاون والقنابل اليدوية، " ... وللتوضيح أكثر يمكن القول: " وفي صباح ٧ كانون الأول عام ١٩٢٠ م غادرت حملة (ده بيوفر) إدلب متجهة إلى (حفسرجة) وكانت قوات ابراهيم هنانو متحصنة عند منتصف الطريق في النواحي الغربية والشمالية، وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين انهالت على فرسان طليعة الفرنسيين، نار عنيفة وكانوا أمام قوات هنانو. لقد هاجم المجاهدون مؤخرة الحملة الفرنسية من تخوم إدلب والجناح الجنوبي، بينما كانت فئات من الثوار تطلع على جناح العدو الأيمن، فدارت رحى معركة عنيفة زحم فيها الجنرال (ده دبيوفر) جميع ما تيسر له من القوات، حتى أنزل سائقي السيارات أنفسهم إلى صفوف القتال، وكانت تضغط على مؤخرة

الفرنسيين قوات نظامية خبيرة بأساليب المناورات ومتحرقة للقتال تدعمها بطارية من عيار (٧٥) م كانت منكشفة، فأسكتتها مدفعية الملازم (شودبار) واستتمت حلقات الإحداق بالجيش الفرنسي من قبل المجاهدين، فاعتزم القائد مهاجمة الذروة التي تستقر عليها قوات إبراهيم هنانو وتقف حائلاً دون مرور الجيش. ولدى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بدأ هجوم القوات الفرنسية على مراكز المجاهدين واندفعت الطليعة تدعمها الرشاشات والمدفعية دعماً قوياً، فانطلقت بالحراب، فتراجع المجاهدون نحو الجنوب، وامتطى الصباحيون ظهور الجياد حالاً وانحرفوا نحو الميسرة وأحدقوا بالمجاهدين، فاضطروا إلى الانسحاب إلى إدلب. وإثر البلبلة التي وقعت في صفوف المجاهدين وقوات الأتراك النظامية الذين أصبحوا في شاغل عن المهاجمة، تمكن الجيش الفرنسي من التخلص من الخطر، واستطاع الجيش أن يصل إلى مشارف حفسرجة. أما فصيلة الدرك السورية التي كانت ترافق الجيش الفرنسي فقد توارت عن العيان، ولم يصمد فيها غير الليوتنان كولونيل توفيق الشركس، والملازم عثمان بك الشركسي قائد المتطوعة في حروب الغوطة وتسعة رافقوا الحملة حتى النهاية. وفي اليوم السابع تخلص الجيش الفرنسي من حفنة المجاهدين وتطويقهم، على أن الخطر ما برح محدقاً به أي إحداق، فهنالك في كفرتخاريم قوات وافرة من فرسان المجاهدين يرابطون مع جيش القائد بدري بك التركي من إدلب وتفادياً للخطر فقد رجع الجيش عن خطة الزحف المستقيم على كفرتخاريم، واعتزم أن يسلك مرتفعات (جبل الأعلى) بطريق تمر بقريتي (كوكو و تلتيتا) وتكاد لا تكون سالكة، وقصد بذلك أن يتقي سدود المجاهدين، ويؤمن على جناحيه في عصمة تلك السفوح الوعرة المنال والمرتقى، فأفلح القائد الفرنسي في تدبيره، حيث وصل الجيش الفرنسي بعد

جهود شاقة أمام قرية (تلتيتا) دون أن يتعرض لاشتباك خطير، ولكن جماعات من رماة المجاهدين كانوا متحصنين بين الصخور في ضواحي القرية ومزودين بذخيرة وافية، فنفرهم العدو بالقذائف اليدوية وسقطت القرية في قبضة الفرنسيين وأقاموا فيها سحابة الليل.

* *

في ٩ كانون الأول سنة ١٩٢٠ م عند انبثاق الفجر استقرت قوة كبيرة من الأتراك النظاميين والمجاهدين على ذروة صخرية تشارف القرية، وكانت تتولاهم قيادة ماهرة، وكان لا بد للجيش الفرنسي من احتلال هذا الموقع الحصين تسهيلاً لمهاجمة كفرتخاريم فقاموا بهجوم مقابل. قامت كتيبة الكابتن (لاروك) في منتصف الساعة التاسعة بهجوم على مواقع المجاهدين واجتاحت الذروة المتحصنين فيها، فاستمات الثوار بالمقاومة قتل خلالها الكابتن (لاروك) والملازم (لشين) وواصل الفرنسيون هجومهم على كفر تخاريم المنيعة الجنبات، ثم ظهرت وطأة تجريدة (بيشون) التي قامت بهجوم من الشمال إلى الجنوب، فاضطر المجاهدون للتخلي عن كفر تخاريم وتوغلوا في الغرب. وقد خسر الفرنسيون في هذه المعركة أربعة قتلى بينهم ضابطان وتسعة من الجرحى، والحقيقة أن خسائرهم كانت عشرات الأضعاف. وفي يوم ١١ كانون الأول سنة ١٩٢٠ م قامت تجريدة (بيشون) على حراسة كفر تخاريم، وانطلقت تجريدة (آبوت) إلى حارم لتأتي بالامداد، فهاجم المجاهدون العدو في كفرتخاريم فوراً وانسحبوا بعد أن هبطت عليهم نجدة إفرنسية من حارم. بينما ذكر بعض المجاهدين في مذكراتهم أن الحملة كانت ثلاثة آلاف رجل قادمة من إدلب إلى حفسرجة فكوكو مع حملات أخرى من إسكندرون والجسر

لاحتلال كفرتخاريم، لكن المجاهدين قليلو العتاد، ورغم محاولات الشيخ يوسف السعدون لإيقاف الحملة القادمة من جبل الوسطاني، فإنهم يأخذون كفرتخاريم، رغم محاولات نجيب عويد وأخوه المرحوم جمعة عويد وجميل عفوصة وعبد الرحمن قره دامور وخليل السيد خليل وصالح الشغوري وغيرهم صد اللواء القادم من إدلب بخمسين مغواراً، بينما هنانو أخذ على عاتقه مقاومة الحملة من حارم، يساعده على ذلك حرسه أبناء سلقين وأرمناز وتل عمار وإسقاط فالجبل الغربي وملس والجبل الأعلى... وبعدها انسحبوا إلى جبل الزاوية لنفاذ الذخيرة والعتاد أمام قوة هذه الحملات. ووقعت كفرتخاريم بأيديهم، إذ أقدم بويفر على نهب مفروشات الجامع الأثرية[1] وقيمتها لا تقل عن مائة ألف ليرة سورية [حينذاك] كما أباح لجنده السلب والنهب، وأمرهم بهدم دار المجاهد نجيب عويد، ونقلوا أحجارها إلى الثكنة العسكرية، ليقيموا بها مخابئ لرشاشاتهم ومدافعهم هذه الحوادث وغيرها، أنهكت ديبوفر بحيث تكون قد خسرت عدداً كبيراً من القتلى. وفي ٢٩ / كانون الأول ١٩٢٠ تكلف حملته بالسفر إلى منطقة الفرات وتحل محلها قوات أخرى بقيادة الجنرال غوبو ترافقه قوات كبيرة، لإنهاء الثورة، وخاصة في جسر الشغور، وفي سيرها تعرضت كثيراً لمناوشات المجاهدين مدة يومين، وفي اليوم الثالث وقعت في فخ نصبه لها الثوار، ولكن المدفعية والرشاشات آزرتهم في صد المجاهدين... كل هذا دفع غوبو لطلب النجدة من حلب، فترسل له قافلة إمدادات، وبعد مرورها بإدلب نحو الغرب توقفت، إذ في الجبل الوسطاني، ترسل قوة استطلاعية، لكنها تقع بين سلاح المجاهدين، وكان بينهم ابن الجنرال غوبو، فاضطر إلى خوض المعركة ، والتي خسرها وترك

---

[1] إنظر كتابنا التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب الصادر عن وزارة الثقافة ٢٠٠٦ ص١٠٥

الجمال والأرزاق غنيمة للمجاهدين اختص المجاهدون بالعتاد والباقي للأهالي . وأكرم الزعيم هنانو المجاهد هزاع أيوب فمنحه عشرة جمال مع أحمالها تقديراً لدوره في هذه المعركة طبعاً سيستنجد غوبو بحلب ويتجمع لديه ثمانية آلاف جندي وبعد صده في نواحي دركوش يضطر للعدول عن حملته والعودة إلى حلب عن طريق جسر الشغور في ٣ شباط ١٩٢١م متوجهة نحو إدلب .

٦- معركة أورم الكبرى [١]:

لم تكن جميع المعارك بيد قائد واحد، بل تعددت القيادات، لكن الاتصالات كانت قائمة، والتنسيق مستمر، بين جميع قطاعات الثورة، وفي شهر أيلول ١٩٢٠م تغيب نجيب عويد إلى تركيا ساعياً وراء السلاح والعتاد وجمع الرجال لمؤازرة الثورة لذلك أشرف هنانو بنفسه على الاستعداد للمعركة القادمة ، بدأت أولى استعداداته في التواصل مع القصاب (أبو يحيى) في معرة الأخوان[١] طالباً مشاركته الشخصية مع ثلة سريعة من المجاهدين من بني معروف[٢]، فلبى الطلب ومعه ١٧٠رجلاً (فرسان ومشاة) ، آزرهم من كفركرمين[٣] قريب من هذا العدد، بينما بلغ عدد أنصار هنانو حوالي ثلاثمائة مقاتل، بدأ التحرك المشترك في السادس عشر من أيلول ١٩٢٠م..وفيما بعد تحركوا ليلاً كي لا تلحظهم عيون الفرنسيين، وفي الفجر اجتمعوا في بلدة الأتارب واتجهوا نحو أورم الكبرى، لكن عيون الفرنسيين عرفت بتحركهم فحشدوا حملة قوية مؤلفة من ألفي جندي .. بدأت الاشتباكات العنيفة بعد شروق الشمس قرب أورم الكبرى، والمدافع الفرنسية تصب قنابلها على مراكز المجاهدين، والطائرات تقصفهم، وأصيب بعضهم لينتقلوا إلى قرية معرة الأخوان وقتل من الفرنسيين عشرين قتيلاً ظلت الاشتباكات أربع ساعات وفي رواية أخرى ساعتين، دون نتيجة يحققها

---

[١] قرية كبيرة تقع شمال غرب إدلب في ناحية معرة مصرين.

[٢] لا ينكر فضل بني معروف في استضافة أسرة هنانو ونجيب عويد وحمايتهم وخاصة من آل القصاب، ولكن الفرنسيين انتقموا من محمد القصاب بإهانته رغم ثباته في وطنيته وثورته على الفرنسيين وقد أشار المجاهد إبراهيم الشغوري في مذكراته إليهم بقوله : ((من المروءة والإنصاف أن تعترف لأبناء معروف المقيمين في بعض القرى القريبة من كفرتخاريم وإدلب على السواء بالكرم الذي أغدقوه على الوافدين إليهم من أهالي كفرتخاريم الذين قضت إرادة المستعمر بتشريدهم، وقد برهنوا أنهم يجودون بمالهم، كما يجودون بدمائهم رخيصة في سبيل الواجب، وأنهم يتوارثون الخلق العربي جيلاً بعد جيل)).

[٣] قرية تقع في محافظة حلب منطقة جبل سمعان قبل الأتارب .

الفرنسيون، ولما كانوا يخشون حملات الليل، ويبتعدون عن حرب المفاجأة التي كان يتقنها المجاهدون ، انسحبوا نحو خان طومان غرب حلب، لذلك اضطر المجاهدون تغيير مسارهم نحو (عنجارة) شمال أورم والأقرب إلى تركيا، لكن السعدون ذكر أن هنانو انسحب إلى قرية الدانا[١] والتقى معه فيها. لا يخفى على الجميع أن الثورة لم تكن في حالة تشتت، بل في تجمع وطني يلبيه الجميع، لذلك جاءت نجدات من مجاهدي (ترمانين)[٢] بقيادة عبد الله الحاج رزوق ومن الدانا بقيادة يوسف السعيد التقيا معاً مع قوة من كللي[٣] يقودها كنجو الشيخ عمر ومن معرة مصرين يقودها هلال العاشوري. في اليوم التالي غادر الجميع عنجارة إلى الدانا لسماعهم بوصول نجيب عويد قائد الثورة من تركية، يرافقه ثلة عسكرية (طابور) يقوده ازدمير بك وبدري بك الشركسي. تغيرت موازين القوى، فلا بد من تعديل الخطة لذلك ارتأى الزعيم هنانو الدعوة لاجتماع عام في معرة مصرين، لكن عيون الفرنسيين تعلم بذلك وترسل الطائرات لقصفها، وإرهاب أبنائها، ولم يعلموا أن هنانو كان حينئذ في معرة الإخوان مدعوا إلى تناول طعام الغداء في منزل المجاهد علي القصاب (أبو القصاب)، زعيم المنطقة وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل .. ولما تباطأت الأخبار من رجالات حلب حول الموعد المتفق عليه لدخول حلب وتحريرها، عاد المجاهدون أدراجهم إلى عنجارة ثانية ...

٧- معركة مريامين: [٤]

---

[١] دانا بلدة شمال إدلب وهي مركز ناحية في منطقة حارم.

[٢] ترمانين قرية إلى الشرق من الدانا تابعة لناحية الدانا في منطقة حارم.

[٣] كللي قرية كبيرة شمال إدلب تابعة لناحية معرة مصرين في منطقة إدلب.

[٤] مريامين قرية تقع غرب إدلب في الجبل الوسطاني ناحية دركوش في منطقة جسر الشغور.

هذه المعركة جرت بعد عدة أعمال حربية في المنطقة لم تهدأ مدة أسبوعين، لذلك قرروا ملاحقة الضابط الفرنسي (فوان) في شعاب جبل الوسطاني غرب إدلب وجرت المعركة عند قرية مريامين، فكانت لصالح الثوار، إذ غنموا ١٥٠ جملاً و ٣٠ بغلاً وأربعة رشاشات وهلاك ألف ومئتين جندي فرنسي وسنغالي ، لكن الثوار قد كانت خسارتهم بليغة باستشهاد ٢٥ شهيداً وجرح الكثير منهم (وفي رواية أخرى ١٥ شهيداً) .

* *

٨- معركة جسر الحديد[1] :

لم تقتصر المعارك على الجبال بل كانت تنتقل من مكان إلى آخر حتى السهول، في ١٩٢٠/١٢/٥ م وصلت القوات الفرنسية إلى ناحية الحمام والأخرى إلى إدلب ... وفي مخفر جسر الحديد استراح الثوار، لكن عيون الفرنسيين تعلم بأمرهم فترسل فوجاً عسكرياً في ١٩٢٠/١٢/٢٦ للقضاء عليهم، ولكن المعركة تدوم ٣٦ ساعة بقيادة يوسف السعدون ، خسر خلالها الفرنسيون ١٥٠ قتيلاً ... وانسحب الثوار إلى القصير مركز الشيخ سعدون.

* *

٩- معركة دركوش[1] :

---

[1] جسر الحديد : في سهل العمق قبل أنطاكية بـ٢٠كم .

حين كان الثوار ينتظرون عودة الجنرال غوبو إلى المنطقة، وصلت رسالة من إبراهيم هنانو إلى الشيخ يوسف السعدون يعلمه فيها أن هناك قوة عسكرية قادمة عن طريق إدلب – دركوش محملة بالمؤونة والعتاد، فيسرع السعدون إلى دركوش ويعلم أن الفرنسيين تجمعوا في قرية التنارية شرق دركوش في الجبل الوسطاني، وفي اليوم ٢٢ / كانون الثاني ١٩٢١م تحدث المعركة في الوادي وهم يتجهون نحو دركوش، خيالة وجمالاً فينصبون لهم كميناً على جانبي الطريق، وينهال عليهم الرصاص ويقتل قائد الخيالة الفرنسي ويأسرون ثمانية عشر خيالاً ، ويرتد المشاة الفرنسيين إلى الوراء نحو الجبل، لكن الثوار يلاحقونهم ويتمكنوا من الاستيلاء على الجمال وأحمالها ويهربون نحو سهل الروج شرق جبل الوسطاني، وفي هذه الأثناء يأتي القائد نجيب عويد من كفرتخاريم يرافقه بعض الثوار، فيتابعون ملاحقتهم ويتمكنون من الحصول على بقية جمالهم وعتادهم. ثم عاد الثوار إلى دركوش للمبيت فيها.

لم يطل المقام بهم في دركوش لعلمهم أن الجنرال غوبو سيغادر القصير الشمالي وسيتجه إلى المنطقة لملاحقتهم، وتم وضع مخافر تابعة للثورة أحدها في ذروة الجبل... ولعل معركة دركوش الثانية لم تكن كالأولى ولكن لها دلالة، إذ يتمكن الثوار من إخلاء الفرنسيين منها... وقصتها حين علم الفرنسيون بوجود الشيخ يوسف السعدون في مقهى يخطب في الجماهير المحتشدة تتقدم قوة فرنسية تعبر الجسر الأثري في دركوش، وبسرعة يدخل أحدهم يعلمه بقدومهم فيسرع السعدون نحو الجبل ، وتنهال قاذفات المدافع عليه وتصيبه قذيفة بجانبه، فتؤذي فخذه الأيمن، لكنه يتمكن من الوصول إلى رفاقه

---

[١] دركوش مركز ناحية في منطقة جسر الشغور تقع في وادٍ جبلي عميق يخترقه نهر العاصي ويصعب الفرار في هذا الوادي .

يستنجدهم بالعودة إلى الوادي لتحرير دركوش، ويطاردوهم حتى خارجها مع حصولهم على أحمال من الخرطوش، وبرسالة خاصة يعلم السعدون إبراهيم هنانو بهذا النصر فيجمع هنانو أهل كفرتخاريم ليلقي خطاباً:

((بشرهم بهذه المعركة وأن النصر كان حليف المجاهدين)) والطريف في هذا الموقف أن الجنرال غوبو كان يراقب هذه المعركة بمنظاره، وحين شاهد ارتداد الجنود صرخ قائلاً : ((جنود دون الثلاثين رجلاً يكسرون هذا الجند ويدحرونه)) وكعادتهم أسروا وجهاء المنطقة من آل رستم ، وأخذوهم إلى الاسكندرونة لسجنهم، بحجة موالاتهم للثورة وأطلق سراحهم بعد تعذيبهم بفدية مالية كبيرة.

١٠- معركة الدويلة / الدويلي :

تعتبر هذه المعركة من أقوى المعارك وأشدها، والغريب لم تسلط الأضواء عليها من الباحثين، هل هو ضعف التوثيق لدينا ، أم أن الموقع غير معروف جيداً لديهم. برأينا الاثنان معاً. تقع هذه القرية شمال غرب كفرتخاريم في جبل الدويلة المسمى باسمها وهي موقع حصين كحصن في العصر الوسيط وفيها معبد وثني، سميت المعركة باسم الجبل الذي وقعت فيه من قبل الشيخ يوسف السعدون والذي كان حينها في دركوش مع ثلاثين مجاهداً، ويتلقى رسالة من وجيه ملس شعبان آغا يعلمه فيها بتحرك ((رحلة فرنسية جاءت من طريق إدلب وتسلقت جبل الوسطاني وتمركزت في قرية التنارية[1] تحرك السعدون ورفاقه نحو قرية الحمية في الجبل ليلقى شعبان آغا ويعلمه بعدد الجند الإفرنس وأنهم لا يزيدون عن الألف وتخندقوا في التنارية ، لكن عيون الثوار تمكنت من معرفة خطة سيرهم نحو الشمال، فتحركوا على غير هدى كي لا يقعوا بين أيدي الفرنسيين، لكنهم تمكنوا من تعقب خط سيرهم،

---

[1] التنارية قرية في جبل الوسطاني على يسار طريق إدلب دركوش.

وعرفوا مكان تمركزهم في قرية بلاط [1] ، وحول الثوار سيرهم نحو قرية الدويلة والتي هي أعلى من موقع قرية بلاط، كي يتمكنوا من مراقبتهم، ولم يعلموا أن الفرنسيين لديهم خطة محكمة لتطويقهم ومحاصرتهم بقيادة ضابط فرنسي محنك يدعى (أندريه) لديه خبرة في مثل هذه المعارك، إذ كان قد تمكن من القضاء على ثورة أضنة[2] واحتل عنتاب[3] وقضى على الثورة فيها، وهو الذي ذهب إلى الشيخ صالح العلي وأخمد ثورته، وبدأ يتبجح مزهواً أمام أقرانه الضباط الكبار أمثال (غوبو) و (فوان) و (دوبويفر) وغيرهم، عن تمكنه من إخماد كل هذه الثورات وهم عاجزون، لذلك تولى زمام المبادرة في معركة جبل الدويلة، قاطعاً الوعود في القضاء على الثورة، فكانت خطته المحكمة، ووضع كل الاحتمالات الممكنة، بأن جمع كل الفرق من كل الجهات حتى لا يكون هناك منفذ للثوار، جاءته من حلب وحارم وسلقين بداية فرقة الجنرال غوبو وفرقة الكولونيل أندريه الذي جاء من الغرب من دركوش ، أصبح الموقف صعباً أمام الثوار إذ القائد نجيب عويد في جبل الزاوية، والزعيم إبراهيم هنانو واجه الفرنسيين في كفرتخاريم، ولقلة الذخيرة انسحب إلى الجبل الشرقي (أي جبل الأعلى) فأخلاها واحتلها الفرنسيون، وتحرك مصطفى أبو درويش مع ثلة من المجاهدين إلى جبل الدويلي حيث الثوار، يعلمهم بما حدث رغم قلة عددهم فقد ازدادوا قليلاً حتى بلغوا الستين، ليتحركوا نحو قرية البلاط لمفاجأة معسكر الفرنسيين، لكن حين يشاهدون النجدة الفرنسية الآتية من دركوش في العتاد والعدد، تغيرت خطة الثوار ، وشاهدوهم يتجمعون في قرية البلاط، ثم يصعدون نحوهم ، وتأكدوا أنهم عرفوا بوجودهم في قرية دويلي، فقرروا توزيع قواهم في

[1] بلاط قرية صغيرة تقع في المنحدر الغربي من جبل الوسطاني بإتجاه تل عمار
[2] أضنة مدينة في تركيا شمال أنطاكيا.
[3] عنتاب مدينة تركية شمال حلب.

عدة محاور ، وفي موقع السرج تقع المعركة بتاريخ السابع من شباط ١٩٢١م[1]
.بين عشرين مجاهداً، أمام عشرة آلاف جندي لديهم عشرون مدفعاً تقذف
عليهم وعلى القرية إلى ما بعد العصر، وبجوار الموقع غابة دخلها الفرنسيون
يتقدمهم ضابط، لكن المجاهدين يواجهونهم ببنادقهم، ويسقط هذا الضابط أولهم،
يليه عدد كبير منهم، فيتراجعون نحو الغابة ثانية لكن الفرنسيين يحوطوهم من
الجهة الأخرى، من ورائهم، وتنهال عليهم الرصاصات من كل حدب وصوب
مستخدمين الرشاشات، فتحرك الثوار نحو الطريق شمالاً، حيث كانت حيث
كانت مجموعة أخرى منهم على رأسها عمر السعدون أخ الشيخ يوسف
السعدون، ويحتل الفرنسيون قرية دويلي بعد مغادرة الثوار، يتابع الثوار
تراجعهم، لكن دون عمر السعدون، الذي تباطأ ليحميهم، وفعلاً ، يتمكن من
إصابة فرنسيين، ويلتحق بأخيه المتجه نحو كفرتخاريم، تحت جنح الظلام. في
اليوم التالي يشاع أن الضابط المقتول هو نفسه الكولونيل(أندريه) المتبجح
بالقضاء على الثورة، إذ جاءت طائرة خاصة إلى أرمناز لنقل جثمانه إلى حلب،
ليؤبن هناك من قبل الجنرال غوبو بقوله ((إن الحكومة الفرنسية لا يوجد عندها
قائد يماثله، فهو الذي اخترق خطوط الألمان في الحرب العالمية الأولى))
شعر الثوار بالزهو والفخار لهذا الخبر.

إذ فقدت فرنسا أحد قادتها المبرزين في معركة جندت من أجلها ثلاث فرق
عسكرية ، بلغ تعدادها ثلاثة عشر ألف جندي، وهو عدد لم يسبق لهم أن
جندوا مثله سابقاً، لهذا اعتبر هذه المعركة – رغم قلة مناوشاتها – ذات وقع
مهم في تاريخ الثورة إذ تم فيها :

---

[1] الشغوري يذكر التاريخ في ٣/٧/ بينما السعدون في ٢/٧ وأخذنا برأيه لأنه كان في المعركة.

أولاً: حشد كل القوى الممكنة للفرنسيين حتى من اسكندرون.
ثانياً: مقتل ضابط فرنسي له سجل حافل بالانتصارات.
ثالثاً: أعطت زخماً سريعاً للثوار الذين لم يشاركوا فيها، إذ جاء نجيب عويد من جبل الزاوية، حين سمع قذف المدافع إلى هناك، وأسرع نحو تجمع آخر كان موجوداً قرب أرمناز، ليباغته ليلاً ، وتتم الحرب معهم طيلة الليل، وهم يطلقون بنادقهم ومدافعهم على غير هدف لهول المفاجأة، حتى الصباح.

غادر الثوار المكان نحو الجبل (جبل الأعلى) يسألون عن الزعيم إبراهيم هنانو، وعائلته في قرية (الجوانية) [1]الأثرية ولما لم يجدوهم تابعوا سيرهم حتى علموا أنهم أي إبراهيم وابنه وابنته قد توجهوا إلى جبل الزاوية.

[1] الجوانية قرية في السفح الشرقي لجبل الأعلى. كثيراً ما ترك هنانو أسرته في هذه الجبال أو عند وجهاء المنطقة في حمايتهم.

١١- اجتماع كللي والمعارك التي جرت حولها: هذا التحرك العسكري الفرنسي والتجمع العددي دفع الزعيم هنانو لإيفاد الرسل إلى الأماكن التي تتمركز فيها قوى الثوار لدعوتها إلى اجتماع عام يضم كافة الثوار في قرية كللي التابعة لقضاء إدلب ،حيث كان هنانو قد اتخذها قاعدة ثانية لتمركز المجاهدين وحركاتهم الثورية. وقد لبى الدعوة جميع الثوار تحت رئاسة كل من مصطفى الحاج حسين ، نجيب عويد ، نجيب السخيطة ، عمر زمو ، عقيل الاسقاطي، الشيخ يوسف الروجي ، عمر البيطار ، عمر زكي الافيوني ، هاشم بك جمال ، ابراهيم الشغري، القائد خالد ناطق بك ، وازدمير بك وغيرهم من القواد . وفي اليوم المحدد لهذا الاجتماع وبعد أن اكتمل جموع الثوار وقف هنانو فيهم خطيباً مبيناً لهم ما وصلت إليه الثورة من نتائج منذ أن بدأت حتى عقد الاجتماع (الصورة ١٠) وبعد ذلك أخذ يحمس المجاهدين ويحثهم على الثبات والنضال والعمل المجدي بانتظام وحسن تدبير وحثهم على المثابرة والاستبسال ثم استشارهم بما يبيته في أفكاره من أمر الاستيلاء لى حلب فوافقوا بالإجماع على ذلك وفي الحال أنصرف القادة لوضع خطة الهجوم والاستيلاء.



الصورة١٠ – اجتماع الثوار في قرية كللي شمال إدلب

وكان هنانو قد ألف فرقة فدائية سماها (فرقة الحرس الحديدي) لتسير أمام المجاهدين تمهيداً للسبل وكشف الطرقات ولجمع المساعدات من القرى ، وبعد أن رسمت خطة السير والاتجاه نحو حلب توجه جموع الثوار يتقدمها الفدائية لمراقبة حركات العدو، فساروا نحو ناحية معرة مصرين ليبيتوا فيها تلك الليلة، ومن ثم التوجه في اليوم الثاني نحو حلب ، ووصل هنانو إلى معرة مصرين ومن معه فدعا الناس كلهم إلى الاجتماع بالمسجد كي يلقي عليهم كلمته النهائية التي ترمي لاحتلال حلب وبينما هو يخطب في الناس منخياً العزائم ومستعيناً بالله لتسهيل مهمته والوصول إلى غايته النبيلة، إذ دوى في السماء صوت الطائرات وأزيزها والتي بلغت اثنتي عشرة طائرة كأنها أحيطت علماً بوجود هنانو والمجاهدين في معرة مصرين فانهالت بقذائفها على المجاهدين فأختبأ من اختبأ وقتل من قتل من المجتمعين وجرح عدد كبير وتحطمت بعض البيوت والأمكنة وتفرقت جموع المجاهدين وخرج الجميع إلى خارج البلدة ليستظلوا بأشجار الزيتون .. وقد ذهب سرب آخر من هذه الطائرات إلى (قرية كللي) حيث أخذت تقصف القرية ومن فيها بقذائفها الحامية المروعة . وهذا ما أدى إلى الفتك بعدد كبير من الأهلين والمواشي وإحراق بعض البيوت والبيادر ....

أما هنانو والمجاهدين فلم يعبأوا بما أصابهم من الطائرات بل أصروا على الزحف إلى حلب ، وفي هذه الأثناء انضم إليه كثير من ثوار الشيخ صالح العلي، الذين جاؤوا على أثر تقهقرهم في جبال الساحل ، واقتحام الأفرنسيين

لمواقعهم بجيوشهم الجرارة التي جاءت عن طريق البحر يقودها الجنرال (نيجر) وتلو استيلائهم على جميع مناطق جسر الشغور. وقد بلغ عدد الثوار آنئذ ما يقرب من ثلاثة آلاف مجاهد. جلهم من أهالي المناطق المجاورة الذين رغبوا الاشتراك هذه المرة مع هنانو في الثورة ودعم حركته ونضاله .. فسار المجاهدون على بركة الله إلى حلب وحال بلوغهم قرية (القناطر) شرقي إدلب، انقضت عليهم الطائرات المتعددة وأخذت تقذفهم بقنابلها وقذائفها وهذا أدى إلى توقفهم عن الزحف نحو حلب ، وفي هذه الأثناء ورد إلى هنانو كتاباً من أنصاره وأصدقائه يخبرونه وصول قوات كبيرة فرنسية من إنطاكية واسكندرون إلى حارم وكفرتخاريم وجسر الشغور وإدلب.

وهاتيك القوات اتخذت لنفسها قواعد محصنة في تلك المناطق التي وصلت إليها وهي في طريقها إلى المدن السابقة . فشعر هنانو أن مراكزه التي كانوا يتحصّنون بها ، قد أصبحت خالية ،وبعضها قد أحتل من قبل الجيش الفرنسي ، لذلك اضطروا إلى العودة والعدول عن خطتهم في الزحف إلى حلب، والإسراع في الانتقال إلى الجبال ، وهكذا عادوا وواصلوا المسير ليلاً إلى أن وصلوا قرية (قرقانيا) و(درسيتا) في جبل باريشا وهناك تحصنوا بالجبال التي اتخذوها قاعدة للجوئهم إليها عند الاقتضاء.

في ١٠ شباط ١٩٢١م تسيّر القيادة الفرنسية بحلب حملة أخرى بقيادة الكولونيل ديبوفر إلى منطقة إدلب لاستعادة هيبتها، ولعلمها أن هنانو قد جعل قرية كللي [شمال إدلب] مركز قيادته.

كانت حملة مؤلفة من أربعة آلاف جندي، طوق القرية بجنده، ثم عاثوا فيها سلباً ونهباً، باحثين عن كل رجل مشتبه به، أو سلاح، انتقاماً منهم ... إذ

اصطحبوا معهم ٢٧ رجلاً قاموا بإعدامهم بأمر من قائد الحملة، ولأنهم استضافوا هنانو وصحبه في قريتهم قبل عدة أيام.

بل بلغ بهم الأمر تجويع أبناء قرية كللي بإتلاف مستودعات الأغذية، لكي يموت أهلها جوعاً ، ثم اتجه ده بيوفر إلى قرية زردنا (في ناحية معرة مصرين) حين علم بلجوء الثوار إليها وتزودهم بالطعام، فأرسل بدعوة المختار محمود الدارة يستجوبه كيف ساعد الثوار وأين هم، لكنه ينفي معرفته بمكانهم فيأمر بإعدامه كما أعدم مختار كللي من قبل.

بلغ التأثر بهنانو أشده حين علم بما حدث في كللي، وقرر الثأر والانتقام لأهاليها، فانتشر المجاهدون ما بين حلب شرقاً وأنطاكية غرباً وجسر الشغور جنوباً حتى أنهكت حملة ديبوفر، ولتعود إلى حلب لتعيد تنظيمها ! لقد ظن الفرنسيون، أنهم باحتلالهم كفرتخاريم، قد قضوا على الثورة،لكن فألهم خاب ،إذ قرر الثوار التجول حول حلب، لإشعارهم أنهم ما زالوا موجودين، والثورة مستمرة، حتى أن الملازم الأول إبراهيم الشغوري لاحق المجرمين مع خيالته في خان طومان مثلاً ...
لما علم الثوار بتوجه سرية فرنسية وبعض الخيالة إلى قصبة معرة مصرين، والتمركز فيها بضعة أيام بدأ نجيب عويد يشن مع حفنة من رجاله حوالي خمسين هجوماً ليلياً ساحقاً على الفوج الفرنسي المعسكر في أطرافها، (الصورة١١) ،

صحيح رمى عليه القنابل والحرائق ،
التي أدت إلى مقتل العشرات من
القتلى والجرحى حتى الصباح، فإنهم



الصورة١١-جنود فرنسيون بمعرة مصرين.
الصورة عام ١٩٢٨م

ولكن الفرنسيين في معرة مصرين استنجدوا بفوج آخر من إدلب، واتجهوا إلى درسيتا للانتقام، ولكن الأخبار وصلت للمجاهدين، ولم يكن فيها غير فصيل واحد برئاسة نجيب عويد، ووجدوا صعوبة في تمكنهم منها، وفيها عشرون رجلاً وامرأة وطفلاً ..

صمدوا كل الصمود أمام الحملة الفرنسية التي جاءت لتطويقهم ، ولم يتمكنوا منهم لحصانة المنطقة، إذ تقع هذه القرية بين وديان جبلية عالية، وتراجع الفرنسيون إلى قرية حربنوش الواقعة قبل درسيتا في السفح الشرقي الشمالي لجبل باريشا.

يروي المجاهد الشغوري في مذكراته تفاصيل هذه المعركة ((وأنهم بذلوا جهدهم لتأخير هذه المعركة إلى المساء ، حفاظاً على ما تبقى منهم والبالغ عددهم حوالي سبعين مقاتلاً ، وزعوا إلى فئات تحصنت في شعاب الجبل ، وظل يقاومون حتى الظهيرة: وجاءت طائرتان قذفتهم على غير هدى ..لقد ساد الهرج والمرج، وحصلت البلبلة بين الفرنسيين ومناصريهم ، وتمكن المجاهدون من

إصـابتهم إصـابات مميتـة، ومـع هبـوط الظـلام تراجعـت الحملـة الفرنسـية شـبه منهزمة تحمل قتلاها وجرحاها ، وأصيبت إحدى الطائرتين برصاص المجاهدين ، وسقطت فـي الضـواحي المجـاورة، خسـائرنا سـتة جرحـى وأمـا العـدو فخسـارته السبعين عدا الجرحى ...))

وفي رواية أخرى أن القصاب (الصورة ١٢)

لـم يتـوان عـن القتـال ، إذ انضـم إلـى ثلـة القائـد نجيـب عويـد والمؤلفـة مـن ١٤ مجاهداً في قرية درسيتا... لقد انسحب عويد تمويهاً، بينما قائد الحملـة الفرنسية جلس يقهقه ساخراً من [هروب] عويد، واستراح ثم واصل سيره نحو حارم ... يذكر الشـغوري : ((أمـا عقيـل الاسـقاطي الذي رافقهم ، فقد اتجـه نحـو منطقـة حـارم يتـابع جهـاده ومعـه عشـرين رجـلاً لكنـهم قرب قريـة بيـاطس يصـطدم بحملـة فرنسية ، ويشـتبك معها ويقتل أحد رجالـه ، وعدد غير قليل من الفرنسيين ..)) جـاءت الضـغوط مـن الجانـب التركـي للتراجـع عـن الثـورة، بعـد الاتفـاق بـين الجانبين التركي والفرنسي، وكان الثوار في الحيرة من أمرهم ،هل يستسلمون أم يتابعون ...

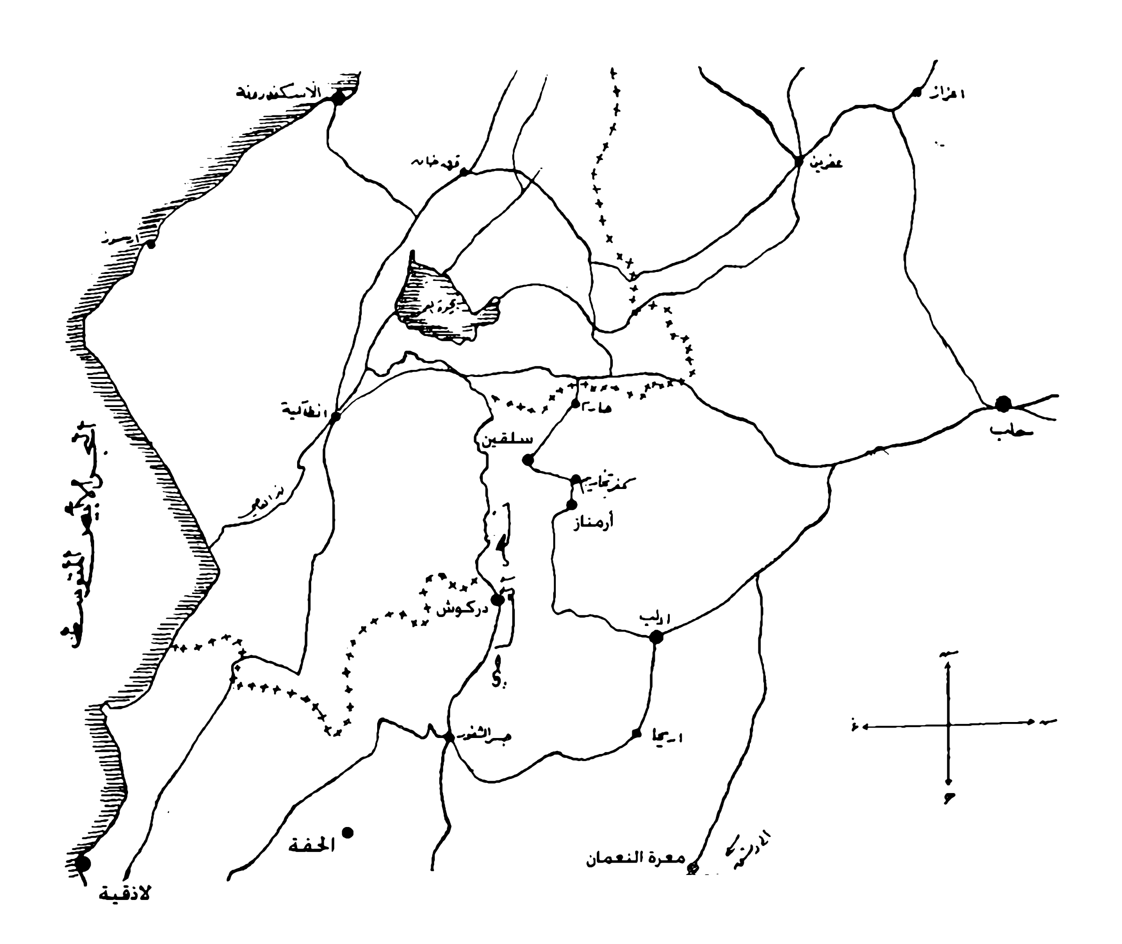


الصورة ١٢–المجاهد القصاب يتوسط إخوته في قرية معرة الأخوان عام ١٩٣٧

وفي قرية كللي تجمعوا، لكن عيون الفرنسيين ترصدهم فتشن عليهم حملة فرنسية بقيادة الكابتن كاثيو ،ويحاصرهم في القرية لكن عقيل الاسقاطي يموه عليهم، بشن الهجوم مع ثلة من أنصارهم ،والثلة الأخرى بقيادة سعدون ،تسرع إلى الجهة الشمالية من القرية تحيط بهم، وفعلاً تنجح خطة سعدون ، ويصاب الضابط الفرنسي لكنه لا يموت، ويلوي بقية الفرنسيين إلى الفرار.. فقد المجاهدون سبعة رجال وبعض الجرحى،ولكن خسائر الفرنسيين أكثر...

بعد معركة كللي توزع المجاهدون إلى فئتين، خيالة بقيادة البطل عقيل الاسقاطي ، ومشاة بقيادة الشيخ يوسف السعدون ،ولكل منهما منطقة يقاتل فيها ، لكن لقاء سيتم في سهل العمق غرب حارم (الصورة ١٣)، لمهاجمة

المخافر هناك... وفي قرية كوتي بيوك(في سهل العمق) يحط المشاة رحالهم ،لكن الفرنسيين يعلمون بذلك ، فيحيطون بالقرية مع قصف من قبل طائرتين ، وجرح أربع من المجاهدين.. دامت المعركة طيلة النهار ، استبسل فيها السعدون بطولةً وحماساً ، وقتل العديد من الفرنسيين ، خاصةً حين طوق بعضهم البطل عقيل الاسقاطي ، وقتل وجرح منهم ما لا يقل عن الستين ، بل لاحقهم حين فرارهم.



الصورة ١٣-خريطة تحركات الثورة العربية في الشمال السوري

الفصل الثالث

ثورة جبل الزاوية

١-مـدخل: إن ثـورة جبل الزاويـة، هـي ثـورة الشـعب العربـي السـوري فـي هـذه المنطقة من شمال سورية، وكما وضح ذلك بالتوثيق، لأن هنانو لم يكن يعتبر نفسه ابن منطقة حارم، بل ابن سورية العربية، في دولتها الجديدة المستقلة، تحـت حكـم الملـك فيصـل، وعرضـنا أنـه كـان يتصـل بالمجاهـدين فـي إنطاكيـة، بـل يـذهب بنفسـه إلـى هنـاك وفـي القصـير ينسـق مـع الشـيخ سـعدون وصـبحي بركـات، بـل سـعدون نفسـه يتـابع معـه هنـا وهنــاك، وأيضــاً هــو يتصــل بالشـيخ صـالح العلـي أو هـو يرسـل أي الشـيخ العلـي إليـه، وكذلك أبناء منطقة صـهيون - أي الحفـة الآن - إنهـا بحـق ثـورة الشـمال السـوري، صـحيح أن المجاهدين أطلقوا عليه اسم الزعيم، بل هو من العرب إلى العرب كما قال فـي أحـد نداءاتـه وقـد كـان جبـل الزاويـة أحـد مقراتـه الرئيسـة . ونجـد أنفسـنا مضطرين للحديث عن معارك جبل الزاويـة، هذا الجبل الأشم والذي تحدثنا عن مواقعه



الصورة ١٤- المجاهد مصطفى حاج حسين (١٨٨١-١٩٥٢م) من أبطال جبل الزاوية ومن بلدة إحسم قضاء أريحا .

الحضارية في كتابنا الرحالة الجزء الثاني وأنجزنا نصف كتابنا عنه " الحضارة في جبل الزاوية " لقد تبين لي من مذكرات المجاهدين أن البطل مصطفى حاج حسين (الصورة ١٤) من احسم ومن معه، هم الذين طلبوا الانضمام إلى الثورة، وليس كما ذكر بعضهم إن الزعيم هنانو قد طلب منهم، فالبطولة هي البطولة، والوطنية هي الوطنية، لا تستدعي طلباً من الآخرين، بل من ذات المواطن في هذا الجبل، الذي استعصى على الغازي الاسكندر المقدوني ثم الرومان والبيزنطيين، وخاصة الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس، وكذلك الفرنجة، وما بطولات قبيلة بني عليم وغيرها من القبائل ، إلا دليل على حماة هذا الجبل، لذلك سمي القسم الشمالي منه بجبل بني عليم، فحصن بسرفوت استعصى على الفرنجة مرات بفضلهم وشجاعتهم وحصن روسا وكفرلاثا وغيرها من الحصون ،وسيجد القارئ في بطن هذا الكتاب شرحاً حياً لمعارك الجهاد ضد الاستعمار ، والبطولات الفردية والجماعية ، والاستشهاد البطولي من أجل حماية ربوعه ، وكيف استظل به الزعيم هنانو ليتابع مسيرته في تحرير الوطن ، مدعمين حديثنا بالوثائق المكتوبة والمصورة .

وبذلك نكون قد قدمنا للقارئ الكريم بعضاً من ذكريات الماضي الحي في قلوبنا ، لتكون نبراساً له ولأجياله من بعده .

وفي قرية مرعيان في جبل الزاوية يعقد مؤتمر ضم عدداً من رجال الثورة يرأسهم مصطفى حاج حسين ليقرروا العمل جميعاً تحت لواء الزعيم هنانو، ولتعلن الثورة فيه رسمياً أوائل آذار ١٩٢١م مما دفع بالسلطات الفرنسية الضغط على الدرك لتعقب كل ثائر في المنطقة.

٣- معركة الرامي : تقع قرية الرامي إلى الغرب الجنوبي من ريحا . في ٢٨

/ ١ / ١٩٢٠ م وصلت فرقة من المتطوعين [1] مؤلفة من خمسمائة جندي مع وحدات فرنسية مجهزة بالسلاح والعتاد الكامل، يرأسهم محاسن محمود من أهالي لاذقية والملازم محمد إسماعيل جانات من أهالي حلب، يرافقهم الدليل الجاسوس محمد البوم من أهالي ريحا [2]. نزلت في ريحا أولاً ثم أورم الجوز [3] فقرية الرامي، لكن الثوار علموا بمسيرها، فنصبوا لها الكمائن . ولما وصلوا إلى الرامي وتوقفوا أصلاهم الثوار نيراناً حامية، واستمرت المعركة حوالي الساعتين، أبيد أكثر جنودها، وعلى رأسهم الضابطان السوريان المذكوران . وأما الدليل الجاسوس فقد هرب إلى أورم الجوز محاولاً الالتجاء عند آل الخربوطلي لكن الثوار تعقبوه وأعدموه رمياً بالرصاص . وبما أن هذا الجبل هو (صلة الوصل) كموقع جغرافي بين ثورة صالح العلي وإبراهيم هنانو، كان لا بد من التواصل بينهم . لذا في ٢٠ شباط ١٩٢٠ يرسل هنانو بريد الثورة المتنقل المعروف المجاهد هزاع أيوب – والذي ادعوه سندباد الثورة – بينما دعاه المجاهدون شيبوب (الصورة ١٥)



الصورة ١٥ – المجاهد هزاع أيوب من قرية جبالا منطقة معرة النعمان . كان مراسل هنانو مع الشيخ صالح العلي ومجاهدي جبل الزاوية ، ودليل الزعيم خبرة وبسالة.

---

[1] كان الفرنسيون يقبلون المتطوعة من السوريين بين جندهم وبراتب مغري، حتى يوقعوا بين المواطنين أنفسهم .

[2] نحن نستخدم اسم ريحا بدون ألف تمييزاً لها عن أريحا فلسطين.

[3] أورم الجوز قرية كبيرة غرب ريحا ع/ط لاذقية.

إلى الشيخ صالح العلي كي ينسق معه أعمال الثورتين وتوحيد جهودهما .

٣-إعلان الثورة: في الوقت ذاته يجتمع بعض ثوار جبل الزاوية في بيت مصطفى الحاج حسين في احسم ليقرروا الانضمام إلى ثورة هنانو، لذا قرروا إرسال الشهيد (أبو عدله) على رأس وفد مع جميل الخبير للتباحث مع هنانو . وفعلاً يصل الوفد إلى كفرتخاريم بتاريخ ٢٧ / ٢ / ١٩٢٠ م. سر هنانو بهذه المبادرة النبيلة، ماداً يده إليهم، وسلمهم بعض السلاح والذخائر . وفي عودتهم رافقهم نجيب عويد قائد ثورة الشمال والملازم عبد الغني (الصورة ١٦) ،



الصورة ١٦ – ثوار جبل الزاوية مع ثوار هنانو في كمين لسرية فرنسية في معركة جبل الأربعين يظهر في الصورة الضابط عبدالغني المغربي وهو يصوب المسدس نحو أحد الجنود الفرنسيين .

وعقدوا اجتماعاً موسعاً في منزل الحاج عارف الآغا في مرعيان، ضم وجوه الجبل وعلى رأسهم مصطفى الحاج حسين وإسماعيل لاطة ومحمد صالح

وهيب وسلوم البوش الشغري وذكر الملازم الشغوري في مذكراته " أنهم بعد أخذ ورد قرروا الانضمام إلى ثورة الشمال، وربط مصير الجبل بمصير كفرتخاريم، وبقية المناطق الثائرة، فأعلن العصيان، وتسابق الشباب إلى التسلح."

قرروا العمل جميعاً تحت لواء الزعيم هنانو، وأعلنوا الثورة في الجبل رسمياً أوائل آذار ١٩٢١م مما دفع بالسلطات الفرنسية الضغط على الدرك لتعقب كل ثائر في المنطقة.

وكانت باكورة الأعمال طرد جابي الحكومة، الذي جاء يطالب بالضرائب وأخذهم سلاح الدركيين اللذين يرافقانه وخيولهما ...

وأما الحكومة المحلية فقد وجدت في هذا التمرد مشجعاً لها، فجمعت من دركها الثلاثمائة إلى جبل الزاوية لتأديب العصاة، فتصدى لهم المجاهدون في قرية المسطومة[١] (جنوب إدلب) واشتبكوا معها في معركة دامية، أظهر فيها أبناء الجبل من ضروب الشجاعة، ما جعل فلول الدرك منهزمة بعد أن تركت من قتلاها ما لا يقل عن الأربعين. كما يصفها لنا المجاهد إبراهيم الشغوري في مذكراته " والمغوار فيهم من أوصله ساقاه إلى ظهر فرسه وامتد به حيث يقصيانه عن موطن الخطر ..

وهنا قرر الفرنسيون تسيير حملة تعد الألف، لكن المجاهدين كمنوا لها دون مناوشتها ليستدرجوها، وبعد ثلاث ساعات انقضوا عليها من جهات ثلاث و في رواية غيره القوة مشكلة من هنانو ومصطفى الحاج حسين] بالنار، واشتد لهيب المعركة حين سمعوا باستشهاد (أبو عدلة) المغوار، واندفعوا للثأر له .. . وما إن أتى المساء حتى انسحب الجند تاركين في الساحة ٧٠ قتيلاً،

---

[١] ذكرها الجندي ص ٨٣ باسم معركة الشيخ خطاب في الروج . وهنا أصح بموجب مذكرات المجاهد الملازم إبراهيم الشغوري . أما معركة الروج فقد وصفها لنا السعدون في مذكراته. أنظر الهامش في الفصل السادس.

معظمهم وللأسف الشديد من الجزائريين المنكوبين بالحكم الفرنسي الغشوم . وإني لأذكر بالفخر والعزة تملأ نفسي أن نساء الجبل الأشم في ذلك اليوم لم يكن أقل حماساً من رجالهن وعلى رأسهم الشهيد (أبو عدلة)، يثرن الحماس بزغاريدهن وأهازيجهن ويجلبون الماء للمقاتلين .. . وأعتقد أن للنساء القسط الوافر في الانتصار العظيم الذي عم فرحه مناطق الثورة وقلوب المخلصين عامة " . ومن الروايات الأخرى إن هذه الحملة قد عززتها المدفعية والطائرات، لذا فإن الأعلام البيضاء قد رفعت في ريحا على أسطحة المنازل، وكل ظن المجاهدين أن الحملة الفرنسية التي دخلت ريحا قد استسلمت، كما أن الفرنسيين ظنوا أن المجاهدين انسحبوا وحين نزل المجاهدون إلى ريحا، التبس الأمر عليهم، والتحموا مع الفرنسيين بالسلاح الأبيض، وكانت النتيجة أسر عدد من الضباط والجنود الفرنسيين، والفرنسيون أسروا ستة مجاهدين، ثم عاد المجاهدون إلى احسم حيث كان هنانو، ليشرف بنفسه على الأسرى، يحدثهم عن ثورته وموقف حكومتهم الفرنسية من سورية . وبعد يومين، أرسل الفرنسيون يفاوضون هنانو ومصطفى حاج حسين على إجراء المبادلة، فاجتمعوا في قرية (مصيبين) [1] بسلاحهم، بينهم ضباط ومترجم . وقد ذكر الشغوري أنه كان للثورة في حلب عيون في الجهاز الحكومي وضمن إدارة المندوبية الفرنسية، وغيرها من المدن السورية، لتخبرهم عن كل جديد لذا فإن السلطات الفرنسية عمدت بعد هزائمها للاستعانة بمنشورات توزع على مناطق الثورة وخاصة منطقة ريحا، حيث كان انهزام جندهم . وفي إحدى الليالي والزعيم نائم مع خاصته في أورم الجوز، يوقظ الحراس الملازم إبراهيم الشغوري ويسلموه كتاباً جاء محرراً بالأرقام الشفرية [أي الرمزية السرية] ومطولاً ، وكان فحواه أن

---

[1] مصيبين : قرية شمال شرق ريحا بـ ٤ كم.

طـائرة فرنسية ستحلق فـوق منـاطق الثورة، لتلقـي علـى سكانها منشوراً مملـوءاً بالأكاذيب والأباطيـل يحضـهم علـى مقاومـة الثـورة وتمنـيهم الأمـاني العـذاب . وبعد بزوغ الشمس " يدخل علـى الزعيم مرافقه ويقدم إليـه الكتـاب المرسل من حلب، وما كاد يتم تصفحه إلا وأقبل وجوه القريـة للسلام على الزعيم، وفيما هم لديه، قيل أن الطائرة تحلق في السماء وتلقي على ريحا المناشير .. . وأحضر أحدها وطابقاه مـع الأصـل عندهم فكـان هـو الـذي يـدعو للاستسـلام.. . **٤- المعركة الكبرى: سرجة – وادي ترعان:** بعد خسارة الفرنسيين فـي كفرتخاريم ودركـوش والقصـير وجبـل الزاويـة قـررت القيـادة العـدوة الاسـتيلاء علـى الجبـل ذلك المعقل الحصين وهو المعقل الثاني للثورة بعد كفرتخاريم، والتنكيل بأهلـه الأشاوس فجهزت فرقة من الجند بكل وسائل التدمير وعدد

مقاتليهـا يفـوق الأربعـة آلاف مـن حلـب ، وتلقـت أمـراً بـاحتلال الجبـل الأشـم ". (الصـورة ١٦) وفـي شـهر نيسـان ١٩٢١م وصـلت القـوة الفرنسـية إلـى سـرجة[١] لاحظ مخفـر المجاهـدين فـي سرجة أن الفرنسيين يتسلقون قمم الجبـل، حـاول مناوشـتها لإعـلام بقيـة المجاهـدين بوصـولها . وفـي الـوادي المسمى (ترعـان) قرب سرجة وقعت المعركة التي تعتبر من أهم معارك جبل الزاويـة والتـي أسفرت عـن مقتـل ١٢٠٠مـن الجنـد الفرنسـيين[٢]، ومـن المجاهـدين ٦٥ شـهيداً، مـنهم اسـماعيل لاطـه مـن البـارة،، ومحمـد حسـن الخطيـب مـن قريـة مرعيـان، ومحمـد اسماعيل الوهبي، ومصطفى الأطرش، ومحمد سرور شعبان من احسم ، وعبـد القـادر علـوش مـن سلقين وصـفها لنـا المـلازم الشـغوري فـي مذكراتـه قـائلاً " فـي

[١] قرية تقع في الجزء الشمالي الشرقي من جبل الزاوية تبعد عن ريحا ٦كم جنوب شرق أما ترعان فهي مزرعة تابعة لها.

[٢] بعضهم شك في هذا العدد ويرجح العدد ١٢٠ لكن معظم المجاهدين ذكروا هذا الرقم وأرجح العدد بين قتلى وجرحى وفارين .

صباح ٢٠ نيسان ١٩٢١ تسلق الجند الفرنسي جبل الزاوية من بضع نقاط شرقه وشماله مع المدفعية والأسلحة والطائرات تلقي حممها على المجاهدين، رغم قلة عددهم .. . وأما الجند الفرنسي فقد بلغ عشرة آلاف من المدربين [سابقاً قال ٤ آلاف وهي الأصح] يقودها ضباط خبروا الحروب، وأما المجاهدون بأسلحتهم البسيطة تصدوا لهم .. . وأخيراً انسحبنا دون أن نترك في الساحة شهيداً واحداً، إلا صحبناه، بعد أن كبدنا المئات من القتلى والجرحى .. . " كما روى عبد الرحمن عيد أن المجاهد مصطفى المحلول من احسم كان يحمل قنبلة يدوية، وقذف بنفسه على مستودع الذخيرة الفرنسي، وانفجر المستودع، وقتل عدداً كبيراً منهم " كان ترتيب المعركة من قبل هنانو كما يلي : توزعت القوات إلى جناحين وقلب، ومؤلفة من ثلاثة آلاف بعد تجميعهم فاستغرقت المعركة ثلاثة أيام، واشتد وطيس المعركة بعد وصول نجيب عويد مع قوة، كذلك الفرنسيون أحضروا جنوداً من السنغال نحو وادي ترعان وأخرى عن طريق معرة النعمان، كل منها سار في طريق آخر، حتى لا يتمكن المجاهدون من اصطيادهم، إحداها قدمت عن طريق سراقب وإدلب بقيادة الجنرال غوبو، ودخلت جبل الزاوية من الجانب الشرقي . لكن النيران أطبقت عليهم بينما الفرنسيون شنوا هجومهم أول الأمر بالمدفعية، كي تخفف من ضغط المجاهدين على خط سيرهم، وقدمت ثماني طائرات قذفتهم بالقنابل، واستمرت المعركة ليلة أخرى . كان الصمود النادر، بمؤازرة من أهالي القرى وعشيرة صهيون [أهالي منطقة الحفة – اللاذقية]، وخاصة نساء الجبل بتشجيعهن للمجاهدين أدت المعركة إلى تراجع الجنرال غوبو بجيشه، بعد فقدانه الكثير من السلاح والخيول والمؤونة .

ذكر الشغوري أن الجناح الأيمن قاده الملازم الأول عبد الغني والذي جرح في

أول مساء في كتفه، واستلم بدلاً عنه يوسف السعدون وأما الجناح الأيسر فقاده مصطفى الحاج حسين، وقاد القلب الملازم الأول إبراهيم الشغوري طوال اليوم بـ- ٥٠٠ مجاهد تقريباً .. . الفرنسيون حاولوا التقدم دون جدوى، وظل الحال هكذا ثلاثة أيام كاملة، والعدو في نقص دائم، بينما المجاهدون في ازدياد . كان يوماً مشهوداً بالبطولات، وصار الفرنسيون مدافعين بعد أن كانوا مهاجمين .. . وصل نجيب عويد إلى المعركة ليشد أزرها مع ٤٠ مغواراً. تمكنا من الوصول إلى الهوة التي فيها ذخيرة الفرنسيين فأطلقا النار عليها (الشيخ يوسف ومعه الشهيد أحمد التكلي) ويقع الإنفجار وفي اليوم الرابع للاشتباك، كان العدو قلقاً، يتراجع ويترك ١٢٠٠ قتيل .. . " ونضيف من مذكرات الطبيب محمد نعمة بن الشيخ عبد الحميد إنه حين كان صغيراً بإدلب كان يتردد على والده جندي فرنسي سنغالي من داكار [1] يلاطفه كثيراً ويحدثه بكلمات عربية (مشكلة) تثير ضحكه ورغم ضخامة جسمه فقد كان حنوناً ويذهب به إلى دكان غنوم، في البازار الفوقاني، ليشتري الملبس والفستق . وكان هذا شأنه كل يوم، إلى أن رحل هو و شرذمة العسكر إلى جبل الزاوية . وجاء الخبر بعد أيام أنه وجنوده قتلوا في وادي ترعان، قتلوا في الحملة التي قادها الجنرال ميشو، إذ حاصرها جنود هنانو ورجاله في واد عميق، جنوب قرية سرجة ولم ينج منهم إلا قليل، وروائح جثث القتلى ملأت الوادي وقد شاهدت كثيراً منهم بعد هذه المعركة عائدين إلى إدلب يحملون معهم العكاكيز يستندون إليها وهم يعرجون " . وسبب اهتمام الفرنسي به تعويضاً له عن شوقه الى ابنه في السنغال وعلق الطبيب محمد نعمة في مذكراته على معركة وادي ترعان : " كنا نقول للأستاذ

---

[1] كانت فرنسة قد استعمرت عدة دول وتقبل متطوعين في جيشها من أبناء المستعمرات ومنها دولة السنغال في أفريقيا وعاصمتها داكار.

: ألا يجدر بوزارة المعارف أن تستبدل هذا البرنامج [أي بتدريس أفكار الثورة الفرنسية ونابليون] بتدريس الثورات السورية على الإستعمار الفرنسي، ثورة هنانو وثورة صالح العلي، وثورة سلطان باشا الأطرش . إذ معركة ترعان (وادٍ في جبل الزاوية) يثير فينا من الإعتزاز والإنتماء أكثر مما يثيره أي انتصار كبير أحرزه نابليون .. . لقد ظلت جثث الفرنسيين وأعوانهم متعفرة في تراب الوادي لا يجسرون على سحبها، نهشتها الصقور والغربان، وزكمت روائحها النتنة الأنوف على بعد ميل منها .. . لقد قتل ثوار هنانو ألف جندي إفرنسي وانهزم أمامهم أربعة آلاف هزيمة منكرة مخلفين سلاحهم وعتادهم على أرض ترعان. لقد زرت هذا الوادي بعد المعركة بسنة اصطحبني والدي معه في جولة مشيخية يرأسها الشيخ طاهر منلا الكيالي ، عالم إدلب المشهور، وقبل أن نصل إلى الوادي مررنا بريحا وبقرية (بزابور Bzabour) ومنها انحدرنا إلى ترعان .. تلك القرية الصغيرة التي تقع في واد أخضر زاه .. . وبادرت الناس هناك أين وقع القتلى فقالوا ملء الوادي جميعه .. . لقد كان أبطال هنانو الأشاوس مختبئين بين صخور الجبل حينما داهموا الجيش، كانوا هناك على الذرى، لا يستطيع أحد اكتشاف مخابئهم)). وقد ذكر الطبيب محمد نعمة في مذكراته أيضاً تحت عنوان))جنود إفرنسيون سنغاليون على سطح بيتنا.. إن الثورة على الإفرنسيين في تلك الأيام كانت على أشدها، سيما في جبل الزاوية وجبال العلويين، وكنا نسمع حكايات البطلين الشيخ صالح العلي وإبراهيم هنانو الأسطورية، والأحاديث تدور في المدينة عن الحرب الطاحنة، التي يعدها الإفرنسيون، ونال إدلب من هذه الحرب الشيء الكثير، و هاهم طنبور السنغاليين يحتلون سطح بيتنا، كما احتلوا سطوحاً أخرى يلتجئون إليها، مختبئين من غارات الثوار عليهم . وكان كثير من هؤلاء الجنود مسلمين إلا

أنهم مرتزقة، استعملهم الفرنسيون لإخماد الثورات العديدة التي اشتعل أوارها هنا وهناك)) .

٥- المعارك الأخرى : موقعة الكرسانة قرب ريحا التي قادها المجاهد مصطفى حاج حسين، وأخرى في قرية كفرروما غرب معرة النعمان قتل فيها أحد المجاهدين ، وكذلك معركة بسنقول التي جرت عام ١٩٢٥م شمال غرب ريحا ، إذ حضر ثمانمائة جندي فرنسي ومرتزقة ، لكن الثوار بادروهم بالمفاجأة أكثر من مرة ، حتى تم تحريرها عام ١٩٢٦م ، وهي المعركة التي جرح فيها مصطفى حاج حسين قائد ثورة جبل الزاوية .. بعدها وفي عودتهم نحو سهل الروج حلقت طائرتان فوقهم لتقصفهم بالقنابل ورشهم بالرصاص ، مما أدى إلى إصابة ثمانية بجروح ، وسارعوا إلى القبض على الجريح مصطفى أسعد ، وساقوه إلى حارم وأعدم رمياً بالرصاص ..

كانت وسيلة الإعلام بينهم إشعال النار ليلاً، أو قرع الطبول نهاراً على سطح منزل مصطفى حاج حسين للاجتماع في منزله. هذا وقد أقيم احتفال رسمي وشعبي حين وفاته وفي الأربعين أرسلت هذه البرقية من إدلب " هاتف رقم ٣٠٧ – إلى قيادة درك محافظة حلب – أقيمت حفلة تأبين للمجاهد مصطفى الحاج حسين من أهالي إحسم بمناسبة ٤٠ يوماً على وفاته بحديقة المنشية بإدلب مساء ٢٤ آب ١٩٥٢م. اجتمعت وفود كثيرة من المنطقة وحضرها إحسان الجابري من حلب، وعصام المحايري من دمشق

تفضلوا بالإطلاع ودمتم .

إدلب في ٢٥ / ٨ / ١٩٥٢م – قائد درك كتيبة حلب الجنوبية.

* *

ومن الحوادث التي يرويها لنا الشغوري في مذكراته أن المجاهدين الذين ذهبوا

إلى تركيا أبلغهم نجيب عويد بعد عودته من أنقرة، بأن الحكومة التركية قررت قطع كل مساعدة عن المجاهدين الذين يدخلون الأراضي السورية، لتعهدها بذلك للحكومة الفرنسية وبعد دخولهم إلى سورية وقيامهم بعملية ناجحة في قرية العكرة – قضاء إنطاكية على رأسهم عقيل اسقاطي بقضائهم على شرذمة من الجنود السنغاليين /١٦/ عسكرياً غضبت السلطات الفرنسية عليهم فالتجؤوا إلى جبل الزاوية " لاتخاذه معقلاً آخر خاصة وأن أهله ممن عرفوا بالكرم والمروءة ومقاومة المستعمر – وقد أراد الفرنسيون أخذنا على حين غفلة منا فبعثوا برجالهم لمشاغلتنا في جبل ريحا، ريثما تتمكن قوة أخرى من الإلتفاف حول جناحنا الأيمن، وإيقاعنا ضمن كماشة للقضاء علينا .. . ولكن بقي قسم منهم في ريحا لصد العدو من صعود الجبل، كما ذهب القسم الأكبر إلى الجهة الشرقية من الجبل، حيث اصطدموا بالجنود الفرنسيين الذين حاولوا الإلتفاف حولنا .. . وتمكنا من صد الهجوم المزدوج، بعد أن كبدنا العدو خسائر فادحة في الأرواح والأموال . ولابد بهذه المناسبة من الإشادة بذكر بطولة الشهيد الملقب بالجعب.

وهو من أبناء الزاوية، ويفاخر به القدماء الذين انطلت عليهم خدمة الفرنسيين، بأن استسلموا حين غادر الزعيم هنانو البلاد في تموز ١٩٢١ م... وفي أحد الأيام وهو في طريقه من قريته في جبل الزاوية إلى ريحا لبيع محاصيله وبرفقته بعض النسوة من جيرانه وذوي قرباه، مروا بالقرب من وحدة عسكرية يتمرن جندها في الخلاء، فصار الجند، وهم من الذين لا أخلاق لهم يسمعون الكلام البذيء (فطمة حبيبتي فطمة) ويتحرشون بالنساء اللواتي يرافقن البطل الجعب، والذي هاله الأمر فارتد إلى قريته، وحمل بندقيته، وما كان يحتفظ به من عتاد، وعاد أدراجه حيث يتمرن الجند الفرنسي على البغي والفجور، فترس

وراء الصخور، وصوب رصاص بندقيته إلى الأنذال وأمطرهم منها، عشرات الطلقات، التي أصابت المقاتل منهم فتفرقوا... حينذاك هدأت ثائرة الجعب قليلاً، حيث ثأر لكرامته، فحمل نفسه والتحق بالمجاهد الشيخ يوسف السعدون. لقد خاض هذا المجاهد معركة ريحا ببسالة حتى سقط شهيداً.لقد عمد الفرنسيون إلى تعزيز الحملة بالجنود المتطوعين في إدلب، فأرسلوا سرية يتجاوز عددها المئتين من صنائع الاستعمار البغيض . وما كادت تقترب من نيران الرشاش وتصبح في متناوله ، ذلك الرشاش الذي يستعمله أحمد الألماني ، وهو من بقايا الحرب العالمية الأولى، جاء سوء الطالع ليوقعه في أسر الفرنسيين، وجاؤوا به إلى بلاد يحاولون استعمارها . كان أحمد الألماني هذا قد أعلن إسلامه بعد أن التحق بنا مع سبعة عشر مجنداً ورقيباً من أشد الرجال نقمة على الفرنسيين .. . ومن الإنصاف أن نصرح هنا أنه وحده، وبنيران رشاشه أوقف هذه السرية وحال دون لحاقها برفاقها أكثر من ساعتين، بعد أن ضحى من رجالها أكثر من عشرة ومن الغرابة أن نجد بيننا ألمانيين ونمسويين وبلغاريين يدافعون عن أرضنا دفاع الأبطال بينما
يقاتل .. . ؟ ! .. . وقد قيل إن عدو عدوك صديقك)).

ويتابع وصفه للمعركة وفقدانهم الخرطوش ((فانسحبوا ليلاً إلى الغرب، ليلتقوا بالمجاهد هزاع أيوب، الذي جاء لمؤازرتهم ثم يذهب إلى المعرة لشراء الخرطوش وفي العودة تداهمهم حملة من الجند الإفرنسي لكن خبرة هزاع، وبعد الصدام الخفيف يسلك بهم طريقاً إلى الجبل الوسطاني " ويشير إلى جهود مصطفى حاج حسين للبحث عن عتاد في المناطق المجاورة لعشيرتي الحديديين والموالي، لتزويدهم بالعتاد، لكنه يصطدم وهو في قرية ابين من

أعمال إدلب بالمتطوعة من الشراكس والأكراد البالغ عددهم خمسمائة خيالة أو يزيد، فاضطر إلى الانسحاب أمامهم، بعد أن أبلى البلاء الحسن، لكن أحمد الألماني قد استشهد في هذه المعركة " ولسان حاله يقول أردت لهؤلاء القوم الحياة فعمدوا إلى قتلي !)).

الفصل الرابع

التواصل المشترك بين ثورة هنانو
وثورة جبال الساحل

١ – بداية التواصل : لم يكن خافياً على الفرنسيين أهمية التعاون بين هاتين الثورتين، لذلك بدأوا بالتفريق الطائفي بالدعوة إلى ترسيخه في الساحل وجباله، وكلما جرت محاولة التواصل بينهما، كانوا يسعون إلى إحباطها حتى ولو بتمزيق شرايين الثورتين المتصلة ، لذلك كانت أولى مخططاتهم احتلال مدينة جسر الشغور أو المناطق الشرقية المتاخمة لجبال اللاذقية و طرطوس ، لفصل الساحل عن الداخل ، لكن وعي المجاهدين أحبط كل محاولاتهم غير مرة. لقد كانت البداية شعور أبناء منطقة الحفة بمحاولات الفرنسيين توسيع شقة الخلاف،فأقسموا على الثأر منهم،لذلك أرسلوا ((وفداً برئاسة عمر البيطار (الصورة ١٧) يرافقه صبحي اللاذقاني وخيرو القصاب إلى الزعيم إبراهيم هنانو في كفرتخاريم، يعرضون عليه الانضمام إلى حركته الثورية،والعمل تحت لوائه)).


الصورة ١٧– المجاهد الشيخ عمر البيطار ١٨٨٦ – ١٩٤٦م

بينما روى المجاهد السعدون في مذكراته حول قدوم وفد منطقة الحفة بقوله:((وجاءت الصهاونة إلى كفرتخاريم بقيادة عمر البيطار وهم زهاء المائة خيال فتداولنا يومئذ أمر الأعمال التي يجب أن تبدأ العمل فتم الاتفاق على مهاجمة الحامية التي في جسر الشغور وهي تتراوح بين الألف والألف ومائتان جندياً نصفهم مشاة ونصفهم خيالة من الجراكسة

ولما لم يكن لديهم السلاح والاستعداد الكافي، كلفهم الزعيم هنانو الاتصال بالأتراك باسمه في كتاب خطه بيده إلى الزعيم التركي صلاح الدين عادل، طالباً مدهم بالسلاح والعتاد، مع حثه على إرسال السرية التركية والمدفع، المتفق عليه سابقاً، وبعد أيام تصل السرية التركية مع موفدي (صهيون)[1]، وعند الحدود استقبل كل من نجيب عويد وعمر البيطار بدموع يغمرها الفرح هذه المساعدة، والعلم التركي يلتقي بالعلم العربي مرفوعاً فوق مقر السرية، وزنر كل منهما بوشاح أبيض نقش على الوجه الأول منه بالقصب الآية الكريمة ((إنما المؤمنون إخوة)) وعلى الثاني ((فأصلحوا بين أخويكم)).

* *

أورد د.عبد اللطيف يونس في كتابه ((ثورة الشيخ صالح العلي)) (الصورة ١٩) أن الشيخ يتصل بإبراهيم هنانو، إذ ((أوفد الشيخ في ١٠ شباط ١٩٢١م المجاهد المعروف ((حبيب محمود)) للاتصال بالمرحوم ((إبراهيم هنانو))، وعرض حاجة الثورة إلى السلاح، وإلى ضباط فنيين يساعدون ((الشيخ)) في إدارة العمليات الحربية بعد عودة الضباط الذين كان أوفدهم الملك فيصل، عقب انهيار المقاومة في ((الشيخ بدر)).

واستقبل هنانو رسول ((الشيخ)) بالحفاوة والترحاب، وأظهر له كل استعداد للمساعدة بالمال والسلاح.

كان قد أرسل معه أربعة ضباط لهم أثر ملحوظ في إدارة العمليات الحربية التي دارت بعدئذ. وكان تعاون الثورتين وثيقاً.وكانت ثورة ((هنانو)) أكثر غنى واستعداداً من ثورة ((الشيخ))، بعد أن انتقلت إلى الشمال، وليس في حوزة

---

[1] كانت تسمى منطقة الحفة في محافظة اللاذقية بمنطقة صهيون نسبة إلى قلعة صهيون فيها وهي قلعة صلاح الدين اليوم إلى الشرق.

قائدها إلا عدد محدود من البنادق الحربية ذلك لأن ثورة ((هنانو)) كانت تمدها جهات مختلفة، وتمولها.



الصورة ١٨- المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي (١٨٨٢-١٩٥٠ م)

وكان ((إبراهيم هنانو)) يرسل كثيراً من الامدادات إلى ((الشيخ)). وكان قائدا الثورتين يعتبران ثورتيهما ثورة واحدة، تساند كل واحدة منهما الأخرى وتدعمها، إذ أنه حينما كانت تحتدم المعارك في جبهة ((هنانو)) كان المجاهدون يخفون من جبهة ((الشيخ)) لنجدة إخوانهم، بالنظر لقرب المسافة بين ((جسر الشغور)) و ((الحفة)).

وكثيراً ما هجمت كتائب من ثورة ((هنانو)) لنجدة إخوانهم، حينما كان العدو يحاول التغلغل إلى الجبل من جهة الشرق، بغية تطويقه. ومن الإنصاف للحقيقة والتاريخ، أن نقرر هنا حقيقة واقعة وهي :

أن استمرار الثورة في الشمال، واحتدامها، وثباتها كل تلك الفترة الطويلة، إنما يعود فضل كبير فيه للمرحوم ((إبراهيم هنانو)).

وهي حقيقة يجب أن تذكر وأن تسجل. وقد ذكرها لنا ((الشيخ صالح)) بكل تقدير)) [1].

* *

٣ – المعارك المشتركة : رغم الحشد الفرنسي الكبير ضد الثوار لتطويق الثورة، لم تتوقف المناوشات والمعارك ... إذ في شهر شباط ١٩٢٠م بعد وقوع جسر الشغور في يد الثوار، يقرر هنانو الاجتماع بالقادة والتوجه نحو قلعة صهيون – قلعة صلاح الدين اليوم – لتطهيرها من كتائب الإفرنسيين التي وصلت إليها عن طريق " الحفة "فأوفدوا رسولا وهو المجاهد الشجاع " محمود الإستنكاوي "و برفقته نفر من المجاهدين ...وقد زودوه بكتاب إلى السيد عمر البيطار من يد هنانو يدعوه باسم الوطن والدين الى حمل السلاح ومشاركتهم الجهاد في سبيل الله... واعلموه بتثبيت خطته التي ترمي الى تطهير منطقته من الفرنسيين ،وعن مجيئهم لقريته بوقت مجهول ،ليكون على أتم الاستعداد... وبعد استلام عمر البيطار الكتاب الملمع إليه، وافق على ما جاء بمحتوياته وأعد نفسه متأهلا لملاقاة المجاهدين والانضمام إليهم "..

وتحت جنح الظلام من ليلة ٢٨ منه وصلت كتائب المجاهدين إلى قرية عمر البيطار – شير القاق – تحت رئاسة هنانو وعمر زكي الأفيوني الطرابلسي والقائد هاشم بك جمال وإبراهيم محمد الأحمد ومصطفى الحاج حسين ونجيب عويد وأعوانهم.. الذين يربو عددهم على الـ ٧٠٠ مجاهد وعند وصولهم إلى منطقة عمر البيطار استقبلوهم بالترحاب فانضم إليهم عمر البيطار ومن

[1] عبد اللطيف يونس : ثورة الشيخ صالح العلي ص١٧١-١٧٢

معه ليتوجهوا إلى منطقة صهيون لمؤازرتها في ثورتها ..
اطمأن هنانو إلى أن هذه الجهة من المنطقة الغربية قد توطد فيها نفوذ الثورة حيث غدا يرابط فيها عمر البيطار وإخوانه[١].

* *

بعد احتلال الساحل أقام الفرنسيون في قرية بابنا حامية عسكرية، كونها واقعة على ضهرة جبلية، ولوقوعها قرب الطريق الرئيسي للاذقية – جسر الشغور وقربها من منطقة الحفة... ولما كثرت تعدياتها صمم ثوار منطقة الحفة الهجوم على الحامية وتحريرها بالتعاون مع ثوار هنانو بعد تحرير جسر الشغور، إذ في ١٦ – ٢٢ نيسان ١٩٢٠م [٢] يتحرك ١٠٠٠مقاتل... ظلوا يحاصرونها ويناوشونها سبعة أيام، إلى أن جاءت نجدة فرنسية من عشرة آلاف تؤازرها قوات العملاء، وتنقذ المحاصرين.

* *

روى الشغوري أمين سر قيادة الثورة في مذكراته ((أنه بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني من عام ١٩٢٠م أراد الزعيم (أي هنانو) ولعدة أسباب، أذكر منها رفع معنويات الجنود والثوار، ومخاطبة الفرنسيين باللغة التي لا يحسنون غيرها، وهي لغة القوة، وفتح الطريق بين ثوار الشمال، والمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي، الذي كنا نتصل به بالتراسل، وبالتالي الإعلان للشعب، أن ثورة الشمال هي حقيقة لا خيال، وقوة لا وهم)).

---

[١] العياشي - الإيضاحات : ص ١٩٣-١٩٤
[٢] ذكر الجندي التاريخ في ١٩١٩م والأصح ١٩٢٠م كما ورد في تقرير الكولونيل نيجر.

للأسباب هذه، ولتحطيم الجبهة العسكرية الفرنسية قرر مداهمة جسر الشغور واحتلالها – وقد أوردنا في بحثنا سابقاً تفاصيل هذه المعركة – وبالعودة إلى تقرير الكولونيل نيجر [1]، يتجلى بوضوح حقيقة التواصل بين ثورتي الشمال وجبال الساحل، وهو قد أطلق على من تعاون مع ثورة الشمال من أبناء جبال الساحل أنهم ((يرحلون إلى الجسر)) بل هم غادروا منطقة صهيون وانضموا إلى ثورة هنانو، وقد خاطبهم الزعيم هنانو مع المجاهدين الذين أتوا من المناطق الأخرى بقوله:

((لست أكلفكم أمراً، أو أدعوكم إلى جهد، أنا في نجاة منه. وإنكم ستجدونني إن شاء الله في الطليعة، أعمل بعزم الشباب، وحكمة الشيوخ)) وكذلك ما ورد في موافقة الشيخ صالح العلي على خطة الزعيم هنانو التي وضعها مع عمر البيطار بأن يرسل رسوله إليه طالباً التعاون بين الثورتين، فرحب هنانو كل الترحيب.

بعد الانتصار في جسر الشغور وتحريرها يعطي هنانو الأسلحة كلها إلى ((مجاهدي جبل صهيون، لتقوية أنفسهم، واستعمالها في منطقة اللاذقية)).

وكما ورد في مذكرات الشغوري الذي وصف أبنائها حين استعدوا لمنازلة حملة فرنسية متوجهة إليهم بقوله:

((وقد كانت أخبارها قد وصلت إلى أولئك الأبطال الذين استعدوا لمنازلتها، ولقائها في الأماكن التي يختارونها هم، بحيث لا يمكنونها من الدخول معهم في معركة، تفرضها عليهم في الأماكن التي تراها، ولأبناء منطقة اللاذقية [الصهاينة] [2] خبرة وجرأة لا تقل عن إخوانهم في الشمال، وإن لهم مواقعهم

---

[1] أنظر الفصل الثاني معركة جسر الشغور.

[2] هكذا تورد في مذكراتهم ويقصدون منطقة الحفة

الحصينة، ووعرة المسالك، والمؤازرة و التشجيع من سكان المنطقة.. استطاعوا بالصبر والثبات، من تحويل مواطن القتال، من حيث لا يريدون، إلى حيث يريدون، وإيهام القوة الفرنسية، بأنهم مستعدون لمنازلتها في مكان هم أبعد الناس عن منازلتهم)). وبعد صدام متقطع، دام ثلاثة أيام في مناطق مختلفة، تمكن السادة : عمر البيطار ، والشيخ أحمد إدريس، وسعد كله، ورجالهم، من الانقضاض على مؤخرة الحملة، وسلبها جزءاً غير يسير من عتادها، وأرزاقها.

في الوقت الذي يشاغلها فيه السادة: سعيد التكليه، ومحمود عطور، وشحادة زكريا، وصبحي وخيرو اللاذقانيان وإخوانهم الأبرار..

فقد الجنرال قائد الحملة وعيه، فازداد غضباً، إذ أمر جنده بنهب القرى، تأميناً للقوت والتنكيل بمن يستطيع، وتوزعت سراياه هنا وهناك، فتصدت لها القوى الأهلية، منهم مصطفى الحكيم ومصطفى أرناؤوط حتى دفعت الجنرال إلى التوقف عن الهجوم.هذه المعارك المتنقلة في جبال صهيون، وكما يذكر الشغوري: ((إنها بلا شك تفوق الستمائة القتلى من الفرنسيين والجرحى ستمائة أيضاً..))، وبجهود ثوار الشمال في إعاقتهم المدد الفرنسي القادم من حلب إلى جبل صهيون عن طريق جسر دركوش، أعد الزعيم هنانو العدة لمواجهتها وإعاقتها وبالفعل ينجح في تراجعها، والحصول على أحمال جمالها، مع سقوط العشرات من القتلى الفرنسيين، وأرسلت بعض الأحمال إلى منطقة الحفة التي وزعت بالعدل مع غيرها من المناطق التي تواجد فيها الثوار.

والجدير بالذكر، ألا نغفل اسم المجاهد الكبير الشيخ عز الدين القسام المعروف في ثورة عام ١٩٣٦م في فلسطين، بأن نشير إلى دوره في الثورة العربية في الشمال السوري، فهو ابن مدينة جبلة السورية الساحلية، بوادر وطنيته ((تجلت في عام ١٩١١ بعد احتلال ليبيا من قبل إيطاليا، إذ جمع

التبرعات، ونظم مئتي متطوع، ورغم فشل هذه المبادرة، فإنه لم يتوان عن المشاركة في عام ١٩١٩ – ١٩٢٠ م في ثورة جبال صهيون إلى جانب عمر البيطار وآخرين، وتعرض كغيره من رجال المقاومة العربية وقادة الثورة المسلحة لغضبة المحتلين المقنعين بـ ((الانتداب)) فأصدروا ضده حكماً بالإعدام، ورفض لاحقاً الدخول معهم في مساومة جوهرها التوافق مع الوجود الاستعماري في سورية واختار الهجرة إلى ميدان آخر فلسطين وفي مدينة حيفا أواخر صيف ١٩٢١م[١].

* *

بعد وفاة عمر البيطار عام ١٩٤٦م أقيم له حفل تأبين شارك فيه المسؤولون والشعراء وعدد من الشخصيات الوطنية السورية منهم إحسان الجابري، ومن كلمته نقتطف مايلي : ((رحم الله عمر البيطار، فأنا لم أنس ولن أنس تلك المعونة الوطنية التي قدمها لي مع إخوانه آل صهيون الكرام في تلك الظروف العصيبة التي كانت تمر بها البلاد السورية عامة ومحافظة اللاذقية خاصة، والتي كانت بقسوتها ومرارتها خميرة صالحة لليقظة الوطنية التي نلمح آثارها الآن مدوية في كل مكان ، كما أنني لم أنس ولن ينسى التاريخ ما قام به من عمل رائع إبان الثورة السورية وما لقيه بعد ذلك من نفي وسجن وتعذيب واضطهاد. واحسب أن سيرته الثورية تستحق أن تكون في أكثر مراحلها نموذجاً للبطولة والتضحية والإقدام[٢])) .

الفصل الخامس

المفاوضات .. توقف الثورة

---

[١] سارة – فايز معالم إنسانية من المشرق العربي ص ١٢٢- ١٢٣

[٢] جريدة الخبر في اللاذقية عدد ٥٨٨ تاريخ ١٤ /١٩٤٦/٤

١- المفاوضات بين هنانو والفرنسيين: بعد هذه الضربات القاصمة للقوات الفرنسية في جبل الزاوية، وبعد مشاهدة الفرنسيين حسن معاملة هنانو لأسراهم ومن بينهم فوان المستشار السياسي، والذي نقل انطباعه عن شخصية الزعيم المؤثرة، اقترح الكولونيل فوان على الجنرال غوبو قائد الفرقة التي رابطت في إدلب، ثم في كورين جنوبها، بحوالي عشرة آلاف جندي، بأن يجري مفاوضات مع هنانو بخصوص إنهاء الثورة، فقبل الجنرال بذلك، وأرسل وفداً من وجهاء إدلب وريحا للإتصال بهنانو في قرية احسم مركز الثوار ، وإبلاغه توقيف القتال مؤقتاً، لتتم المفاوضة وتقرير الاجتماع بشأنها .

وافق الزعيم على مقترحات الوفد على أن يسبقه اجتماع مع الكولونيل فوان والكابتن بوف وتم تحت شجرة في قرية كفر نجد[١] بحضور عمر زكي الأفيوني قائمقام إدلب سابقاً والمستشار السياسي لهنانو، والقائد هاشم جمال، وعاصم بك ابن خالة صبحي بركات، وإبراهيم الشغوري مرافق هنانو، وراسم سلطان والشيخ يوسف السعدون وهزاع أيوب، يرافقهم أحد عشر فارساً . أي أنه كان اجتماع تمهيدي تم في ١٥ نيسان ١٩٢١ بحثوا شروط ضمان أمن وسلامة الاجتماع القادم، وألا يكون هناك غدر، وأقسم فوان ألا يغدر بهم (الصورة ١٩).

[١] كفر نجد: قرية في محافظة إدلب إلى الشمال من ريحا بـ ٣ كم وجنوب كورين.



الصورة ١٩- هنانو متجها إلى اجتماع كورين

بعض المجاهدين طلبوا قبل التفاوض جلاء الفرنسيين ،وبعضهم رضي بموافقة هنانو على المفاوضة وحين عاد الوفد الفرنسي إلى إدلب ليقابل الجنرال غوبو، وبعد المداولة وافق على عقد الاجتماع في ٤/١٧ / ١٩٢١ في قرية كورين جنوب إدلب عند آل البهلول وفي رواية أخرى بين قرية نحليا وكفر نجد وقد عرض الجنرال غوبو على هنانو باسم السلطة الفرنسية تسليمه رئاسة حكومة محلية تشكل في أقضية حارم - إدلب - جسر الشغور - المعرة، وقسم من إنطاكية، وقسم آخر من جبل سمعان، ويتمتع هو بصلاحيات أوسع من صلاحيات باقي الحكام،وجعل مصطفى الحاج حسين حاكما على جبل الزاوية بشرط أن يتم إنهاء الثورة ويسلم الثوار أسلحتهم ولكن هنانو أبى هذه الشروط قائلاً : " إن من موجبات نقمة السوريين على سياستكم الاستعمارية إقامة هذه الدويلات فهل أرضى لنفسي رئاسة دولة حاربتكم من أجل تمزيقها إلى دويلات ؟.. . إن الفرنسيين دخلوا هذه البلاد السورية رغم رغبة سكانها فلينسحبوا منها

إلـى خارجهـا ولـيعلن فـي الـبلاد عـن إجـراء انتخابـات حـرة حتـى إذا مـا تمـت الانتخابات بجو حر هادئ واجتمع المجلس المنتخب فإن إبراهيم هنانو سيكون في طليعة الذين يرضخون لمقرراته ولو كانت قبول الإنتداب الفرنسي على أن يتعهد الجانب الفرنسي باحترام هذا القرار مهما كان نوعه . " .. . وبلا شك فإن الجنرال لم يقبل بعرض هنانو، لذلك أخفق الاجتماع، بعد اتفاقهما على هدنة تنتهي بعد ٤٨ ساعة، ولتبدأ من جديد المعارك في جبل الزاوية، لكن القوى الفرنسية حتى الطائرات قامت بضرب مواقع الثوار، وتمكنوا من إسقاط طائرة بين إحسم ومرعيان[١] فتحطمت واحترقت بركابها . أما حملة غوبو فتابعت سيرها إلى جسر الشغور لمدة أسبوعين ثم إلى القضاء على ثورة الشيخ صالح العلي.

أدرك الزعيم أنه أمام معركة، بل معارك ستواجهه فالسلاح والذخيرة في حوزته قليلة، لذلك أرسل المجاهد نجيب عويد إلى جهات حماه لتدبير الأسلحة والذخيرة، ولم يتمكن من تحصيلها أو ما يريد تحقيقه، فقام حين عودته بنسف الخط الحديدي قرب محطة أبو الظهور[٢]، كي لا يتيح حرية الحركة للجند الفرنسي " في هذه الأيام الحالكة من تاريخ الثورة في الشمال دعا الزعيم هنانو لمؤتمر عام حضره جميع قادة الثورة وشرح لهم وضع الثورة، وتباحث معهم في أفضل السبل الواجب اتباعها بعد أن نفذت الذخيرة ولم يعد هناك مال لشرائها، وحتى ولو وجد هذا المال فلا يوجد من يبيعهم شيئاً من الذخيرة مقابله. وهنا وقف المجاهد نجيب عويد واقترح الالتجاء للأراضي التركية المتاخمة ، حتى يتمكن من شن الغارات بين الحين والحين على المستعمرين، كلما أمكنت

---

[١] احسم ومرعيان في جبل الزاوية في محافظة إدلب – منطقة ريحا.
[٢] أبو الظهور: مركز ناحية في محافظة إدلب إلى الشرق منها.

الظروف وساعدت الأيام . ولكن هنانو قد أدرك بنظره الثاقب أن التجاءه لتركيا سيجعل من الممكن وصم ثورته بالتعاون مع رجال هذه الدولة، ولذا فقد رد على المجاهد عويد بقوله : " والله لو خيرت على أن أكون مسلماً تركياً أو مسيحياً عربياً لاخترت الثانية، ولذا فإني أفضل اجتياز الصحراء الشاسعة إلى شرق الأردن لأعيش في كنف حكومة عربية على أن ألتجئ لتركيا التي لا تبعد عنا أكثر من ثلاثين كيلومتراً ". وعند ذلك انشطر المجاهدون إلى فئات ثلاث : فمنهم من أخذ برأي الزعيم هنانو بالذهاب لشرق الأردن وفي طليعة هؤلاء كان كل من المستشار الإداري السيد عمر زكي الأفيوني ، والمقدم الركن خالد ناطق والملازمين هاشم جمال وإبراهيم الشغوري وحوالي أربعين مجاهداً آخر. والقسم الثاني انطلق إلى تركيا بأمرة نجيب عويد واستقر في القرى القريبة من الحدود ليستطيع العودة إلى سورية في أول فرصة مناسبة، والقسم الثالث أقعده كبر السن وكثرة الأولاد عن اللحاق بإحدى الفئتين السابقتين، فأعلن عن عزمه على البقاء مقسماً أنه لن يخون القضية الوطنية ولن يرضخ للمستعمر مهما حل به من نكبات .وهنالك تعانق الجميع وفاضت العيون بالدمع ثم سارت كل فئة في سبيلها. في ليلة ١١ – ١٢ تموز ١٩٢١ م توجهت الفئة الأولى إلى شرق الأردن عن طريق بادية الشام، ولكن هنانو لم يستطع الوصول بأفرادها إلى مقصدهم بل تمكن هو فقط بعد سلسلة من المعارك والمتاعب في جبل الشعرة وحمص ودمشق من الوصول إلى جبل الدروز ومنه إلى عمان وقبل الانتقال للحديث عن رحلة هنانو إلى الأردن واعتقاله في فلسطين ومحاكمته نقول إن المجاهدين لم يتوقفوا عن المناوشات، وعرقلة حركة الدوريات الفرنسية أو الهجوم على بعض مواقعهم.

٣ – توقف الثورة – تحليل وتقييم :

لم يكن هنانو صامتاً أمام توقف الثورة ، فقد ظل شعوره نابضاً لإحيائها ثانية، إذ أكد بلقائه مع منير الريس ((إنني وأنا مريض ، بل وفي سريري وقبل أن أنام كل ليلة ، أدرس إمكانات الشعب ، وكم تحتاج الثورة ، التي يجب أن تظل وتبقى وتنجح إلى مال وسلاح ، وأحسب حسابي على ضوء تجاربي في ثورة الشمال ، فأجد أن ذلك غير ميسور لنا اليوم.))

لم يكن توقف الثورة بالأمر اليسير على المجاهدين ، رغم رغبتهم بالنضال مرة تلو الأخرى ، ولكن هناك من الوقائع والعقبات التي أرغمتهم على التوقف كنقص الأسلحة و الذخيرة وعدم إمكانية تأمينها ،أو ضعف تمويل الثورة لاعتمادها على التبرعات والجبايات الداخلية فقط، بالإضافة إلى نكول تركيا من تنفيذ الإتفاقية التي عقدها هنانو مع ممثليها، وضغطها على المجاهدين معنوياً لإنهاء الثورة ، ولانغفل تجنيد فرنسا كل إمكانياتها العسكرية والسياسية للقضاء عليها . ونضيف ، أيضاً اعتمادها في التأييد على جانب خارجي واحد وهو تركيا و كذلك ضعف الخبرة العسكرية أمام الجندي الفرنسي المتدرب ، وهل غياب القيادة الواحدة القوية كشخصية هنانو هي السبب ؟ أم أن إمكانية القيادة عند الشيخ يوسف السعدون، لم يكن لديها القدرة القيادية كهنانو ؟!

كما علينا ألا ننسى أنها كانت الثورة الأولى في المشرق العربي زمناً ليس بالقصير، تواجه عدواً خارجياً ، جاء بالوعود الكاذبة باسم الانتداب ،

كذلك حيرة الثورة بين الأمل الضائع في تركيا، أو الأمل الواعد بالاستقلال ،

هناك سبب آخر في اعتمادها على الفلاحين فقط، وهؤلاء يثورون عاطفة، بلا برنامج سياسي معتمد ، لأننا لم نجد إضرابات أو اعتصام سياسي في البلدان يؤازر الثورة إلا فيما بعد.

لعل كثرة المعارك والمواجهات قد أدت إلى تفاقم الوضع الاقتصادي سوءاً ،

بسبب ضعف النقل التجاري بين حلب و إسكندرون، مما أدى إلى تأزم الحياة الاقتصادية في المنطقة ، وخاصة في الريف.

أما نتائج هذه الثورة والتي أسماها الرائد إحسان هندي بثورة الشمال في دراسته القيمة (كفاح الشعب العربي) في أنها كبدت الفرنسيين كثيراً من الخسائر ، وأجبرتهم على الاعتراف بأن الثوار لهم وضع شرعي كبقايا لحكومة فيصل، وذلك بمفاوضة زعيمهم مفاوضة الند للند ،وأيضاً اضطروا
على إعادة دمج دولة حلب بدولة دمشق بعد فصلهما ، ولكن يمكننا أن نضيف أيضاً أنها قد امتدت وانتقلت من منطقة حارم إلى الجسر وريحا والمناطق الأخرى ، إلى جوار حلب ثم إلى الساحل، وكذلك مهدت لثورة الجنوب ولثورة حماه ،والثورة لن تنجح إلا بالامتداد والانتقال بسرعة كقيادة، وهي قد أعطت دروساً مثلى وعملية في الوعي الوطني الواحد،بحيث أصبح الشعب السوري يتحين كل فرصة ، للإضراب أو التعبير عن سخطه ومعارضته للانتداب الفرنسي ، وأنه استعمار يجب إزاحته في أقرب وقت .

الفصل السادس

ما بعد الثورة

١- استمرار المعارك: بعد تراجع الثورة استغل الفرنسيون هذا الوضع للانتقام، وكانت ادلب الضحية الأولى أمامهم، في واعتقالهم و تعذيب كل من يشتبه به ،أو مصادرة أملاك من وقف مع الثورة ،وكما حدث في قرية كللي باعدام ٢٥ شخصياً بصورة وحشية ، وفي قرية زردنا بحرق البيادر وتدمر البيوت، كما كثر عدد الأشقياء تحت أمرتهم، ووزعوا السلاح على كل محترفي الإجرام ، فامتلأت السجون بالمتهمين الأبرياء، كل هذا مارسوه لإرهاب الشعب السوري

* *

لقد ظل المجاهدين بأمرة الشيخ يوسف السعدون ومصطفى حاج حسين وعقيل الاسقاطي ونجيب البيطار، وعددهم مائة قد اجتازوا الحدود التركية إلى سورية، ليستأنفوا جهادهم . إذ قاموا بعدة عمليات جماعية وفردية.

قبل ختام الحديث عن المعارك، ننوه إلى البطولات الفردية التي قام بها بعضهم، إذ توقفت الثورة، ولم يصدر عفو عام عن الثوار، فماذا يفعل المجاهد ؟ هل يسلم نفسه، أم يظل مستمراً في جهاده ؟ ! ومن اختار الثانية أطلق عليهم اسم جَتا وهي من أسماء المغول .

منهم الشهيد محمود استنكاوي من مواليد إدلب عام ١٨٩٥، شجاع مقدام، خاض مع هنانو معظم المعارك ،حمل رسالة من هنانو إلى ثوار الحفة للتضامن مع بعض. استسلم للفرنسيين بعد توقف الثورة، علهم يعفون عنه، لكنهم أرسلوه إلى حلب مع رفيق جهاده مصطفى غانم من إدلب لمحاكمته، ولما كانت الأدلة بإدلب، أعادوه لاستكمال التحقيق، وفي الطريق يحتال على الجنود، ويستولي على سلاحهم بحيلة انطلت عليهم، وفر في براري إدلب يتابع

أعماله ولكنهم تمكنوا منه في معركة جرت بين تل دينيت والشيخ فضل[1] عام ١٩٢٧ واستشهد بعد تمكنه من قتل ثمانية من جند الفرنسيين .

نقلوا جثته إلى أمام دار الحكومة للإرهاب وتم دفنه بإدلب . ومنهم محمد علي عفارة الملقب بـ حمشو وهو الذي رافق مجاهدي الشمال إلى جبال الساحل مع عقيل الاسقاطي وخيرو القصاب وصبحي اللاذقاني وثوار جبل الزاوية .

ومن الوقائع الأخرى نذكر : في عام ١٩٢٣م[2] حاصرت قوة إفرنسية عند تل دينيت شرق إدلب ثلة من المجاهدين (١٢)

وفي رواية أخرى (٢٠) أفلت ثمانية والباقي قاوموا من طلوع الفجر حتى المساء، وأصيب نجيب البيطار برصاصة في رأسه سقط على إثرها شهيداً مع سليم القاورمة وهما (من منطقة الحفة – لاذقية) كما استشهد المجاهدون



الصورة ٢٠- الشهيد مصطفى قاسم الجباس .
مواليد إدلب ١٨٩٠ -١٩٢٣م .

مصطفى قاسم الجباس من إدلب (الصورة ٢٠)[3] ومصطفى الريحاوي من

---

[1] تل دينيت: موقع أثري شرق إدلب بـ ٥ كم والشيخ فضل بـ ٢كم.

[2] ذكرها الجندي ص ٢٠ عام ١٩٢٦ والبقية يروونها عام ١٩٢٣ .

[3] مصطفى قاسم الجباس : لاحقته القوات الفرنسية مرات ، فلجأ إلى كلس في تركيا وتزوج شقيقة أحد الضباط الأتراك فانجبت له طفلا (صار مجاهدا سمي باسمه مصطفى الجباس الذي استشهد أيضاً في مجدل شمس عام ١٩٤٨م) ومن هناك كان يؤمن الذخيرة والسلاح ، ويزور أهله سرا بإدلب ومرة ألقت القوات الفرنسية القبض على كل أفراد عائلته، التحق بالثورة في بدايتها وخاض المعارك في حارم وجبل الزاوية.

ريحا ومصطفى التركماني... ولكي يرهب الفرنسيون أهالي إدلب ، نقلوا جثثهم إلى ساحة البازار بإدلب وعلقوها على أعواد المشانق ثلاثة أيام، ولم تسمح السلطات الفرنسية بتسليم الجثث إلى أهاليها، ثم دفنوا في جورة بالقرب من السراي (دار الحكومة القديمة) وهي الآن الحديقة الجنوبية فمتى نعلق لوحة فيها للذكرى ؟!

ومن الذين نجوا من التطويق عزيز بن محمد البيطار وشاكر عباس البيطار من قرية شير القاق منطقة الحفة ، أما منصور القاق من سرمين (شرق إدلب) فقد كان معهم ثم استشهد بعد أربع سنوات، إذ تسلل بعض المجرمين المأجورين إلى منزله وقتلوه قبل تمكنه من الدفاع عن نفسه !

ولو عدنا إلى مذكرات الشيخ يوسف السعدون وبعضها غير مؤرخ وإن كانت الحوادث قد جرت عام ١٩٢٥ م ليحدثنا عن معركة حربنوش[١] " ...

بينما نحن في قرية حربنوش علمنا بملاحقتنا من قبل كتائب فرنسية، عدد جنودها تجاوز ألف مقاتل كلهم من الخيالة، لذا صعدنا إلى الجبل، لنتحصن فيه، ونؤخر الاشتباك إلى أواخر النهار، حفظاً على البقية الباقية من عتادنا، إلا أن انسحابنا هذا قد غر الأعداء، كما غرهم وفرة عددهم فربطوا خيولهم في القرية، وصعدوا الجبل متعقبين آثارنا، فاضطررنا للالتحام بهم، رغم أننا لا

---

[١] يذكر أنه بعد معركة بسنقول وأثناء سيرهم في الروج، حلقت فوقهم طائرتان أطلقت رشاشاتهما العيارات النارية، وألقيت القنابل المتفجرة فأصيب ثمانية مجاهدين بجراح .. . " وفي رواية أخرى " كان هنا معهم واجتمعت به في قرية عري " وظل الجانب الفرنسي يلاحقهم عن طريق رجال وحداته والمتطوعين العاملين معه، " كما وزع أسلحته على بعض الأدنياء لمقاومتنا، وكان ذلك حافزاً لنا على مداهمة هؤلاء لنزع السلاح من أيديهم والعتاد الموجود بحوزتهم الذي نحن بأشد الحاجة إليه وفعلاً هاجمنا قرية باتبو (جبل سمعان) وحزانو (إدلب) وأخذنا السلاح من أيدي حملته، ولكن خاب ظننا بالعتاد، إذ أن أكثره غير فاعل وهذه طريقة مضحكة لجأ إليها الفرنسيون يستقدموننا على أهل القرى .. . "

نتجاوز السبعين مقاتلاً كما قسم الباقون إلى خمس فئات لا يتجاوز عدد مقاتلي كل فئة .. ؟ وكنا في مكان حصين يحمي جناح الفئات المجاورة له ويحمي جناحيه، وبقينا نقاوم مدافعين حتى الظهيرة حيث لم يتجاوز العدو خطوط دفاعه .

جاءت حينذاك طائرتان فرنسيتان، ألقتا الحمم على غير هدى، حتى أن أكثر قذائفها تساقطت على الخونة المتطوعة . بحيث أن الالتحام جعل الخصمين قريبين من بعضهما، وضمن منطقة انتشار القنابل وبنادقهم، لذلك ساد الهرج صفوف المجرمين، فتقدم المجاهدون يهاجمونهم مستفيدين من البلبلة في صفوفهم ويلحقون بهم الإصابات السيئة .

مع هبوط الظلام تراجعت الحملة شبه منهزمة تحمل قتلاها وجرحاها راضية من الغنيمة بالإياب، كما أصيبت إحدى الطائرتين برصاص المجاهدين، ولم تتمكن من الوصول إلى قاعدتها في حلب بل سقطت في ضواحي .. . ؟ .. وكانت خسائرنا شهيداً واحداً اسمه .. . ؟ .. . وستة جرحى. أما العدو فقد تجاوزت خسائره السبعين . " ويتابع حديثه حين كانوا في قرية كللي، ويأتي الفرنسيون بقيادة الكابتن كانبل " ذلك الشرير المجرم .. . وعمد إلى الإحاطة بنا، إلا أن أمله لم يتحقق حيث بقي المجاهد عقيل يقاومه من جهة، وانسحب الرئيس السعدون إلى الجهة الشمالية من القرية، فالتف من خلف العدو وأحاط به وأردى قائد هذه الحملة الذي أصيب برصاصة .. . وقد علمنا بشفائه بعد حين، وأما رجاله فأسرعوا بالفرار، لا يلوون على شيء، راضين من الغنيمة بالسلامة فعدنا إلى القرية نتفقد إخواننا . وتبين أننا فقدنا سبعة شهداء، وبعض الجرحى، وأكثرهم من الأغرار الملتحقين بالجهاد، كما ان خسائر العدو فاقت خسائرنا بكثير. "

بلا شك، وباليقين، فإن هنانو كان يعتصر ألماً حين شاهد ثورة الجنوب وحماه عام ١٩٢٥م انطلقتا وهو لا يستطيع المشاركة، إلا من بعيد، ليجري اتصالات مع الثوار اللاجئين إلى تركيا، وتم الاتفاق على تسيير سرية مجاهدين تعد حوالي مائة مجاهد بقيادة الشيخ يوسف السعدون ومصطفى الحاج حسين وعقيل الاسقاطي، وقد تكفل الوطني الكبير فاتح المرعشي، بتقديم النفقات الأولية للحملة مع إعاشة عائلات المجاهدين في تركيا طيلة مدة غيابهم في الجهاد. ولما وصلت هذه السرية كفرتخاريم قامت كتيبة فرنسية كاملة بتطويقها للقضاء عليها، ولكن بطولة المجاهدين مكنتهم من فك الحصار والإفلات، بعد أن سقط منهم ثلاثة شهداء وسبعة جرحى منهم الرئيس مصطفى الحاج حسين ..

لقد دامت أعمال المجاهدين في المنطقة الشمالية بهذه الحملة من ٢٠ كانون الأول ١٩٢٥ حتى ١٥ نيسان ١٩٢٦م وقد قاموا خلال ذلك بأعمال مجيدة في كل من مواقع الفندق، حيرجاموس، القصير، بسنقول، حربنوش، بياطس، كللي الثانية، كوتي بيوك، العلاني، عزمارين، تل عمار[١] .. . وقد كان المجاهدون ينزلون بالعدو في هجماتهم أفدح الخسائر[٢] واستشهد الكثير في سبيل الله وكان الكثير من الثوار الجرحى يأتون إلى إدلب سراً أو يذهب إليهم الطبيب الإدلبي حكمت الحكيم، وفي عام ١٩٢١ م وحين علمت السلطات الفرنسية بجهوده حكمت عليه بالإعدام، ثم نفته في سجن جزيرة أرواد، حيث كان قد سجن فيه الكثير من الوطنيين السوريين.

* *

---

[١] جميع هذه المواقع تقع في محافظة إدلب وإنطاكية.

[٢] أسقط المجاهدون طائرتين للعدو في هذه المعارك.

٣- تفاوض الفرنسيين مع الثوار: في عام ١٩٢٥ يحاول الفرنسيون التفاوض مع الثوار لتخفيض الضغط عليهم، بعد ثورات دمشق وحوران، ويتم الاجتماع في تل عمار[1] بحضور الرئيس يوسف السعدون والبطل الشهير عقيل الاسقاطي (الصورة ٢١) من جهة وفوزي هنانو الموفد من قبل ضابط المخابرات في حارم، وتعقد الاتفاقية على نسختين وهما نافذة المفعول حالما يصدقها ضابط الاستخبارت تضمنت:

الصورة ٢١- المجاهد عقيل الاسقاطي
(١٩٠٠- ١٩٢٦م)

١- تعهد الطرفان بعدم التصادم مع الآخر.

٢- في حال وجودهما في مكان واحد، ليرفع العلم أحدهما فلا يدخل الآخر إليه.

٣- في حال وجودهما في الطريق على كل منهما اتخاذ الجانب الأيمن من الطريق مع بنود أخرى.

لقد وافق الثوار على هذه الهدنة، متظاهرين شكلاً، ولكنهم غير راغبين فيها، لكن أوضاعهم تردت، في قلة العتاد، وعدم الاستقرار في مكان واحد ، وحاجتهم

---

[1] تل عمار: قرية في محافظة إدلب منطقة حارم ناحية سلقين.

للاستقرار زمناً ، ولكن لم يمض يوم حتى نقض الفرنسيون العهد، وأرسلوا عدداً كبيراً من الجنود والضباط المأجورين، يصرون على نقض الاتفاقية ..

حينئذ أمر عقيل على مجابهتهم ، بينما السعدون اقترح اللجوء إلى الجبل شرق تل عمار ويتم القتال على مسافة قريبة، وعدد الفرنسيين ثلاثة أضعاف المجاهدين، تدعمهم الطائرات وقد أصيبت إحداها برصاص المجاهدين، لتقع أمامهم فيحرقوها ويقضوا على ملاحيها، فابتعدت بقية الطائرات .. استمرت المعركة نهاراً بكامله، دون تحقيق نجاح لأحدهم.

قتل من الفرنسيين ضابط ملازم أول وستة وعشرون عسكرياً وعشرات الجرحى. واستشهد من الثوار ثلاثة وعشرون منهم عقيل إبراهيم الإسقاطي و طه المسلوت ..بعد هذه المعركة توجهوا إلى جبل الزاوية بقيادة الشيخ يوسف السعدون يصطحبهم الرئيس مصطفى حاج حسين ، الذي كان قد جرح في معركة كفرتخاريم ليتداوى .. ثم واصلوا السير نحو الحدود التركية، تلبية للضغوط بالانسحاب وقد علق المجاهد إبراهيم الشغوري على هذه المعركة بقوله : وبهذا الشكل انتهت هذه الصفحة اللامعة من الجهاد السوري، وإنها لو لم تختتم باستشهاد رئيس المغاوير المجاهد عقيل، لقلنا حقاً إنها حملة موفقة، وعمل حربي، له أثره البعيد، إلا أن فقدانه قلل في نظرنا من قيمة كل ظفر ...))

لقد كان المجاهد القصاب، صاحب دراية وحنكة في التعامل مع الفرنسيين، ولعل هذه الحادثة تعطينا مثلاً حياً عن مدرسة الثورة ...

في أحد الأيام الممطرة أتت دورية فرنسية من بلدة معرة مصرين إلى (القصاب) في مقر إقامته في قرية معرة الأخوان، طالبة منه الحضور إلى إدلب لمقابلة المستشار الفرنسي، وبعد مثوله أمامه بإدلب .. يطلب منه (

التعاون ؟) معه لإخماد الثورة، وعقد اتفاق (سري) بقوله: نخيرك التعاون مع الثورة أو معنا !.. وبعد قليل أجابه القصاب (في دهاء سياسي): " موافق إذا أعطيتني قيادة الجيش في إدلب وفي المنطقة الشمالية مع ألفي بارودة و دبابة، وخلال أسبوع أخمد الثورة .."

هذا الجواب لم ينطل على المستشار الفرنسي فأجابه بحدة:

أنت تلعب معي لعبة سياسية لا تنطلي على الفرنسي ..

تريدني أن أنفذ لك طلبك هذا لتضع يدك بيد سلطان باشا الأطرش وتقول لفرنسا : مع السلامة !!!

٣- أواخر المعارك: بدأ المجاهدون يتوزعون، ثلة منهم أصروا على البقاء، وأخرى اتجهت إلى تركيا، لكنها قررت قبل العودة – لوجود عائلات لهم هناك – الانتقام لعقيل الاسقاطي، وعددهم عشرون مجاهداً ، وتواصلوا مع مجاهدي حماه لمواجهة مخفر مورك[١]، ونجحوا في ضبط خيلهم وأسلحتهم، ثم عادوا إلى تركيا.. ثم جاءتهم رسالة بالعودة إلى جبل الزاوية للقاء فوزي القاوقجي[٢] مع بعض المجاهدين معه، ولما تأخروا في المجيء، وجدوه قد غادر جبل الزاوية إلى غوطة دمشق، فاضطروا إلى العودة إلى تركيا، وبخيانة علم العدو بهم، فغدروا بهم، لكنهم لم يستسلموا، ودافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال، حتى أبيدوا عن آخرهم، وعددهم اثنان وعشرون مجاهداً رحمهم الله[٣] .

* *

---

[١] قرية في محافظة حماه إلى الشمال منها.

[٢] أحد قادة الثورة في حماه.

[٣] حبذا لو بحثنا عن الموقع وأقمنا لوحة تذكارية فيه !!

يشير الشيخ يوسف السعدون وغيره في مذكراتهم أنهم بعد معركة تل عمار، آخر معاركهم في أوائل شهر نيسان ١٩٢٦م، والتي توفي فيها أحد قادة الثورة الشهيد عقيل الاسقاطي، قد نفذت ذخيرتهم، ومعنوياتهم قد تأثرت نتيجة لإخبار المجاهد نجيب عويد لهم بأن السلطات التركية قد تفاهمت مع فرنسا، وأبلغتهم بعودة المجاهدين إلى الأراضي التركية ضمن مدة محددة، أو ستعمل على تسليم عائلاتهم للسلطات الفرنسية، لذلك عادوا إلى تركيا، وأنهوا الثورة .

أما الشغوري فقد علّق قائلاً : إن هذه الأعمال الحربية ابتدأت بتاريخ ٢٠كانون الأول، وانتهت بتاريخ ١٩٢٦م في هذه الفترة من تاريخ الجهاد، أرسل المجاهد نجيب عويد (والذي أطلق عليه الشغوري في مذكراته لقب قائد الثورة) سرية ثانية، بقيادة السيد عبد الوهاب جراب ..، للعمل بجوار مدينة حلب، إرهاباً للعدو، وتقطيعاً لأوصاله وفي قضاء إعزاز ، داهمتها حملة فرنسية ، وأحاطت بها، وألقت طائرتان بعض القنابل عليها، وصمدت طيلة النهار، موقعة الخسائر، وأسقطت طائرة. إن استشهاد البطل عقيل الإسقاطي، أحدث هزة بطولية دفعت الآخرين للثأر له كالمجموعة التي انطلقت من تل بطال في قضاء الباب- حلب، وتصادمت مع العدو، فجرح خمسة وعطبت طائرتين وغنمت رشاشين)).

لقد عاشت سبع سنوات كاملات خاضوا خلالها ١١٧ معركة سقط فيها مئات الشهداء وبذلك حققوا ما قاله أحد المجاهدين في مذكراته (لقد هب هؤلاء لكي لا يجعلوا فرنسا تهنأ بالفتح، ولا تستقر، فتستقيم أمورها في البلاد السورية، وتتفرغ لبسط سيادتها عليها) .

* *

كان المجاهدون في سوريا ، يتوارون عن الأنظار ، خشية القبض عليهم، لكنهم ظلوا يتابعون مسيرتهم في النضال ..

من الروايات الطريفة ما رواه المجاهد القصاب عن جمعة عويد شقيق نجيب عويد ، الذي كان متوارياً عن الأنظار ، لذلك توارى في جبل باريشا .. وقد طلب المستشار الفرنسي أثناء حملته العسكرية من القصاب الذي كان في ذلك الحين من وجهاء المنطقة ، البحث عن جمعة عويد ، فيذهب المستشار برفقة الترجمان إلى مصطفى عارف الآغا كيالي في قرقانيا، وهناك دار الحديث حول مصير جمعة عويد، وطلب محاكمته ، عند ذلك تنحى القصاب عنهم مدعياً: أنه مدعو للغداء عند أحدهم في قرقانيا .. لكنه ذهب إلى جمعة عويد مبلغاً إيّاه المستشار هنا ويريدك تسليم نفسك ، بدلاً من هروبك وتنقلك من مكان إلى آخر ، فكان رد جمعة عويد: إنني أخشى السجن والقتل، وهنا انتفض القصاب قائلا : نعيش معاً أو نموت ..

ثم ذهبا معاً إلى بيت الآغا ،وعندما دخلا أدهشا الجميع من وجود جمعة عويد بسلاحه ..هذا الموقف أجبر القصاب المستشار بإصدار العفو عنه ، وكان ذلك ...

الفصل السابع

وقفة مع من أحببت .. الزعيم إبراهيم هنانو

١- مسيرة حياته قبل الثورة:

ولد في كفرتخاريم عام ١٨٦٩م / ١٢٨٦هـ والده سليمان بن محمد هنانو،والدته خدوج بنت الحاج علي الصرما ،هو من أسرة عريقة في كفرتخاريم

، إذ اطلعنا على وثيقة رسمية تنشر لأول مرة تشير إلى جده محمد هنانو آغا المقيم في كفرتخارين سنة ١٢٦١ هـ [1]



درس الإبتدائية في كفر تخاريم ، والإعدادية والثانوية في المدرسة ١٠ الملكية بحلب بدرجة جيد جداً، ونال شهادة معهد الحقوق في

مدة أربع سنوات ثم مستنطقاً في كفرتخاريم ثلاث سنوات، وانتخب عضواً في مجلس إدارة ولاية حلب أربع سنوات، ثم عين موظفاً ورئيساً لديوان ولاية حلب عام ١٩١٨م.

لقد تجلت مواهبه في وقت مبكر، وفي ذلك يقول في هنانو أحد معاصريه ((

---

[1] تشير الوثيقة الرسمية في سجلات الأوامر السلطانية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق رقم السجل٥٣ وثيقة ٧ تاريخ ١٢٦١هـ إلى محمد هنانو آغا المقيم في كفرتخارين- اسمها القديم- وهي إثبات دعوى له مع أحد أبناء سلقين وأصلها شراكة منذ سنة ١٢٤٨ هـ.

إنه في عام ١٩١٣ كان الكاتب ينشئ مقالات لدحض مايزعمه غلاة القوميين الترك من أن (مقاطعة حلب) آهلة بأصول تركية وأن عروبتها غير ذات موضوع.. فدلوه على رجل ، يمده بالوثائق والأسانيد لتفنيد هذا الرأي ، ناهض الفكر ، واسع الذرع ، يدعى (إبراهيم بك هنانو) من حلب ، له في هذا المقام جولات تدل على طول باعه ...يقول:

(فدلفت أتعرف إليه، وإذ به رجل بحدود الأربعين، مديد القامة، نحيف البنية، ساحر الجاذبية ، مهيب القسمات، فما كدنا نتجاذب الحديث حتى رأيته مشارباً لنا في خصومة(الاتحادية) ذات الغلو والإغراق ، متلظياً بالغيرة القومية ، يصدر عن منطق سليم ، ورأس ناضج وحجج دامغة ، بشكل يقطع بأنه من نوابغ الأفذاذ...))[1]

توفي معظم أولاده ماعدا نباهت وطارق الذي تعرض لاعتداء عليه انتقاماً من والده من قبل أحد العملاء، أثر في صحته. ولما كانت زوجته التركية (مهرية) قد توفيت بعد ولادة طارق بخمسة عشر يوماً، ولم يتزوج بعدها، فقد رعت أخته زكية ولديه، وهو قد حرص على أن يرافقه أولاده في ترحاله، إذ ارتدت ابنته الصغيرة (نباهت) التي لا تتجاوز يوم بدء الثورة، الثلاثة عشر عاماً ثياب الرجال، لتظهر أمام الثوار بشجاعة أبيها الثائر، وقد شاركت في معركتي، وكذلك أخوها (طارق) الذي لا يقل شأناً عن شقيقته في حمل شعور ذلك الوالد الأبي فكانا يرافقانه ويتنقلان معه في الجبال والبراري يحرسهما عميهما الثائرين ضد الاستعمار ... كل من السيد حقي .. وعقيل[2].

---

[1] هو المجاهد الأديب سامي السراج من حماه، عن مقال محاكمة إبراهيم هنانو لفاضل السباعي في مجلة المجلة المصرية عدد ٤٧ نوفمبر ١٩٦٠م ص ٣٠

[2] عياشي – غالب : الايضاحات ص ١٨٧

لقد سافر هنانو غير مرة إلى الأناضول لمكانته واتصالاته، لذلك حين تمت الدعوة إلى المؤتمر السوري الأول المطالب باستقلال سورية، ومبايعة فيصل على عرش سورية، كان إبراهيم على رأس أعضائه وممثلاً عن منطقة حارم، إذ انتخبه هذا القضاء ممثلاً عنه. وحين علم باحتلال الفرنسيين للساحل السوري، ترك المؤتمر إلى حلب ليعلن ثورته وكما بينا تفصيلاً مراحل هذه الثورة .

* *

٢- توجه هنانو إلى الأردن : بعد توقف الثورة قرر هنانو تعديل برنامجه في المكان في الانتقال إلى الأردن، لعله يجد السند هناك وقد روي عن هنانو قوله ((ولذلك لما انهارت ثورة الشمال لم افكر بالانسحاب إلى تركيا وحدودها على مقربة من مناطق الثورة ، وآثرت الهلاك في بادية الشام للوصول إلى شرقي الأردن كبلد عربي ،على أن ألجأ إلى تركيا التي غدرت بي ، وتخلت عن اتفاقاتها معي))[١] .

أما سفرته فقد رواها لنا في مذكراته :

قررت في صيف عام ١٩٢١ أن أترك ميدان الثورة بمن تبقى حولي من المجاهدين، بعد أن نفذ عتادنا، وأحاطت بنا جيوش كثيفة من الفرنسيين تطاردنا، وتعمل بكل وسيلة للقضاء علينا ! .. كان في استطاعتي أن أنسحب بسهولة إلى تركيا، لقرب الحدود الشمالية من منطقة الثورة، ولكن كنت لا أرجو خيراً لقضيتنا من جيراننا الأتراك. كنت أفضل أن أصل إلى شرقي الأردن الأرض العربية حيث لجأ عدد من الوطنيين السوريين الأحرار بعد احتلال الفرنسيين سورية. لقد كنت أوفدت رسولاً إلى هؤلاء الأخوان أطلعهم على مصير الثورة وأستشيرهم في الأمر، فزينوا لي أن الأمير عبد الله على استعداد

[١] منير الريس : الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي /دمشق ١٩٧٦ ص- ١٨٥-/

لمساعدتي، في استئناف كفاحي ضد الفرنسيين من الجنوب ! ..
لقد كانت الطريق طويلة وشاقة محفوفة بالأخطار، ولكن قضيتنا تحتاج إلى استمرار في الكفاح . والاستمرار في الكفاح يحتاج إلى ركوب متن المغامرات،لا سيما ونحن كل يوم في مغامرة لا ندري إلى أين تنتهي بنا ! .. وكان في عداد عصابتي الأخيرة ضابط بلغاري وعدد من ضباط الصف والجنود الأجانب. كانوا بضعة عشر رجلاً استهوتهم ثورتي، ففروا من الفرقة الأجنبية المقيمة في اللاذقية والتحقوا بي، كنت أضن بهؤلاء أن يقعوا في أيدي الفرنسيين، لأن مصيرهم في هذه الحال الموت المحتم . فسألني الضابط البلغاري :
هل القائد يريد من سفره إلى عمان أن يترك الكفاح أو يستأنفه في الجنوب ؟
قلت : لا بل أريد استئنافه في الجنوب . كنت أعتمد في اجتياز الصحراء على دليل خبير من رجال عصابتي يسمى " هزاع أيوب " وهزاع هذا جدير بأن يسمى شيبوب الشام اليوم لأنه بحق لا يقل في حوادثه الغريبة عن سير العدائين العرب المشهورين : تأبط شراً، وسليك بن السلكة وغيرهم ! .. أرسلته بمهمة إلى إخواني في عمان، فاجتاز الصحراء الشامية ذهاباً وإياباً مشياً وأدى الرسالة على أكمل وجه .
كنت قد أرسلته مرة إلى اللاذقية برسالة من جندي أجنبي وقع أسيراً بيدنا من الفرقة الأجنبية الفرنسية، والرسالة إلى رفيق له في الفرقة نفسها، فحمل الرسالة واشترى حماراً وبيضاً وصابوناً وأقمشة وتنكر، ثم سافر أياماً حتى بلغ اللاذقية، ووقف أمام ثكنتها، واتصل برفيق الجندي وسلمه الرسالة . ووفق بأن يفر بالضابط البلغاري وبعدد من رفاقه ضباط الصف والجنود الأجانب أصدقاء الجندي الأسير الذي انخرط في عداد المجاهدين، ويبلغهم منطقة الثورة حيث

كانوا دوماً نواة منظمة أعتمد عليها في المعارك أكبر إعتماد.
لقد كانت ثقتي قوية بدليلنا هزاع ولذا قررت السفر. وفي ليلة من ليالي تموز[١٢ تموز ١٩٢١] ، أشد أشهر الصيف حراً، غادرت جبل الزاوية، منحدراً من وعورة قضاء المعرة، ضارباً إلى الشرق مبتعداً في الصحراء عن المدن العامرة وعن مراكز حشد الجيوش الفرنسية .. .

علم الفرنسيون في اليوم الثاني من رحيلنا عن الجبال، بأن قيادة ثورة الشمال، مع عصابة لا تزيد عن المئة مجاهد بين فرسان ومشاة ضربت في عرض الصحراء الشامية في طريقها إلى شرق الأردن، فأوعزوا حالاً إلى متطوعتهم الخفيفة في المدن السورية أن تتجه نحو الشرق، وتلاحق العصابة، كما تحرك ضباط الاستخبارات والعشائر. ولكننا كنا حذرين لا نلبث في مكان ساعة للراحة حتى ننتقل إلى غيره لا نسأل عما يلحق بنا من التعب ! ..
يقول القائد القاوقجي أن رسوله سلطان الطيار عاد إليه بعد أن بلغ مضمون الرسالة، وزاد على ذلك أن القائد هنانو لم يرض أن يبحث معه في طريق الخلاص من الأخطار المحيطة به، بل أمر فوراً عصابته بأن تستعد للرحيل، وتستأنف سيرها نحو الجنوب.
يقول الزعيم هنانو : واصلنا سير ذلك النهار بالليل حتى أضنى التعب رجالي، فطلبت إليهم أن يهجعوا ساعة أو ساعتين ، وقبل الفجر أمرت باستئناف المسير، ولما تنفس الصبح بحثت عن هزاع الدليل لأسأله عن الطريق فلم أجده، وتبين لي بعد البحث عنه أن هزاعاً كان ساعة الهجعة قد انفرد عن إخوانه، ولما هبوا للمسير كان يغط في نوم عميق، فلم يدر بمسيرنا ولم ندر بمصيره ! ..

وهكذا فقدنا دليلنا الماهر، ولم يبق أمامنا غير أن نعتمد على أنفسنا والخرائط التي معنا في اجتياز الصحراء ! .. وتطلعت حولي فلم أجد مكاناً يصلح للمعركة أحسن من أرض وعرة تبعد عنا قليلاً فأوعزت إلى الضابط العربي برتبة قائد وكان قبلاً في الجيش العربي ثم التحق بثورة الشمال واسمه خالد، أن يسرع بالعصابة إلى تلك الوعرة ويتحصن بها .

تمددنا في وهدة من الأرض ننتظر اقتراب العدو لنصليه نار بنادقنا، إلا أن صبحي اللاذقاني أحد رجالي الأربعة نبهني إلى نقع آخر ثار من اليمين فالتفت إلى ما حولي وإذا بالنقع يثور من كل جانب، والفرسان تعدو بقوة من كل ناحية حول العصابة، فأيقنت أننا أحطنا من كل أطرافنا بالعدو وأن ليس ثمة فائدة من البقاء بعيداً عن العصابة، بل المصلحة تقضي علي أن أكون على رأسها في هذه الساعة الحرجة. لذلك نزلت عن حصاني ونهرت صاحب الرشاش وأخذت بوضع الرشاش وتصويبه، إلا أن يداً في تلك اللحظة قبضت على منكبي ورفعتني عن الرشاش فالتفت إلى وجهة اليد وإذا بصبحي اللاذقاني يقول لي:

" لا فائدة من الدفاع لقد اجتاحت الخيل رجالنا ! .. " نظرت إلى ما حولي، وإذا بخيالة العدو تمر بي سراعاً، وقد اختلط الحابل بالنابل، فلم يعد الأخ يعرف أخاه ولا الصديق صديقه، امتطيت صهوة جوادي ووقفت لحظة تمر بي الفرسان مندفعة في عدوها هذا يطلق علي نار بندقيته فيخطئني وذاك يقبض على ذراعي فأفلت منه بقوة عدو فرسه. مرت بي لحظة من الذهول ثم استجمعت عزمي ودفعت حصاني في طريق صغيرة وعرة، يتحاشى أكثر الفرسان وعورتها، وشهرت مسدسي أطلق منه إلى الخلف، إرهاباً لمن تتبعني من خيالة العدو، وبعد دقائق وجدتني في منفسح من الأرض خارج نطاق المعركة، فزادني ذلك أملاً بالنجاة، وحثثت جوادي ضارباً في عرض الصحراء

ومن بعيد لمحت فارساً يعدو مبتعداً مثلي عن الساحة، وبعد إمعان تبينت أنه صبحي اللاذقاني الثائر الذي نبهني وأنا منكب على الرشاش إلى خطر الموقف، فعرجت نحوه وعرج نحوي وعدونا جنباً إلى جنب ووراءنا عشرات من فرسان العدو يطاردوننا ويقتفون أثرنا.

شاهد المطاردون نزولنا وتيقنوا أننا مستميتان في الدفاع عن نفسينا فأخذوا بأعنة جيادهم ووقفوا يتبادلون الرأي، ويظهر أنهم هابوا اقتحام موقعنا فلووا أعنة الجياد، وعادوا أدراجهم مكتفين من الغنيمة بالإياب . وبعد التشاور قررنا أن نتجه إلى الغرب، إلى المناطق العامرة من الشام، لأن خطر الهلاك في الصحراء كان يخيفنا أكثر من الوقوع في قبضة الفرنسيين أعدائنا ! .. لقد حسبت للمستقبل كل حساب ... ماجت نفسي فحدثتني بأنني مع رفيق واحد، وكثيراً ما حذر الأقدمون السير في الصحراء مع رفيق واحد ! .. أجل هو من رجالي ولكنه – على كل حال – ثائر طريد هلك فرسه، فقد يوسوس له الشيطان أن يبطش بي، ويستقل بالجواد ويلجأ إلى الفرنسيين الذين وضعوا ثمناً لرأسي، فيشتري برأس قائد العفو عن اشتراكه في الثورة !.. وإذاً لابد من الحذر وكيف يمكن الحذر ؟ .. وهكذا نزعت سلاح صاحبي ، دون أن يخامره ريب بشكوكي وهواجسي منه، ثم ابتعدت عنه قليلاً، وافترشت الأرض بعد ان حفظت البندقيتين بجانبي ونمت دون أن أخشى غدر الرفيق ! .. وسرعان ما اقترحت على صبحي اللاذقاني أن يسلمني بندقيته وعتاده لأنجو بنفسي وحصاني فإذا جاء الرعيان لا يجدون معه شيئاً يسلبونه إياه و لا خوف على حياته منهم ما دام لا يملك شروى نقير ! .. امتطيت جوادي وأطلقت له العنان فتنادى الرعيان لقطع الطريق التي سلكتها وأطلقوا علي الرصاص ولكنني نجوت منهم لأنهم مشاة وبعد لأي وجدتني بعيداً عنهم فسرت الهوينا نحو

الغرب والجوع يكاد يقتلني ويقتل حصاني... [كان يدعى حصانه بالأدهم].

يتابع هنانو سيرته بعد مغامرته في الصحراء بالقول :

((يظهر أن حيلتي لم تنطل على رب البيت فالتفت إلي مبتسماً وقال: " إنني أعرف جميع جباة المالية في سلمية فلست منهم، كما أن لباسك هذا ليس بلباس موظفي الحكومة. إنك تلبس في رأسك " القلبق " الشركسي، ومعك بندقيتان ومنظار حربي وثيابك عسكرية فاصدقني القول ولاتخف فأنا معين لك على قضاء حوائجك "! .. كنت عازماً على أن لا أدل على هويتي، لأنني أعرف أن هؤلاء الأعراب على ما فيهم من كرم ومراعاة لحق الضيافة والجوار، بينهم طماعون يغريهم المال والكسب. ومن يضمن لي أن لا يسلمني رب البيت إلى الفرنسيين لقاء ما وضعوه من جوائز مغرية لمن يقبض علي أو يقتلني ، ثم لفقت له حكاية جديدة فزعمت أنني ضابط شركسي من عمان كنت في الجيش التركي وأنا أريد الوصول إلى عمان وأهلي فيها من أغنياء القوم ومعي قليل من الدراهم فإذا استطاع مضيفي أن يساعدني ويستأجر لي دليلاً يسلك بي هذه الصحراء دون أن يمر بي على المدن، حتى يبلغني عمان، فإنني سأعطيه الدراهم التي أحملها وسأدفع له أيضاً فوقها جائزة كبرى في عمان تغنيه وتجعله مسروراً.

انطلت الحيلة على مضيفي، لأن وضعي ولباسي وحالي كانت كلها تتناسب مع الحكاية التي لفقتها. وأخبرني بأن رسوله عاد بعد أن عثر على دليل خبير بطرق الصحراء إلى عمان، وأن هذا الدليل يريد أربع ليرات ذهبية أجرة تدفع له سلفاً عدا الجائزة التي وعد بإعطائه إياها عند بلوغنا عمان. كنت أحمل في حزام أشده على وسطي نحو أربعمائة ليرة ذهبية فحللت الحزام " الكمر " وأخرجت منه أربع ليرات رميتها لمضيفي ليدفع أجر الدليل .

ثم رميت الحزام وما فيه من الليرات إلى مضيفي فالتقطه شاكراً غير مصدق، وأخذ وزوجه يكيلان لي عبارات التطمين، ويوحيان لي الثقة بأنني بالغ بلدي وأهلي. ولم أنس أن أمنيهما بأنني سأدفع أكثر من هذه الكمية عند بلوغي عمان، وفي صباح اليوم الثالث بدأ مضيفي الحديث فأفهمني أن الدليل الذي وجده اعتذر ونصحني أن أغادر بيته حالاً وأركب حصاني سالكاً طريق الجنوب علني أجد دليلاً في الطريق يبلغني مقصودي. ثارت نفسي لهذا الغدر وأيقنت أن الرجل بعد أن سلبني مالي وسلاحي وملابسي، يريد أن يقصيني عنه . ألم يكفك أنك طردتني من بيتك، وأخذت مالي وسلاحي ومنظاري وكل ما أملك ثم تضن علي الآن بمبلغ لا يكفي للسفر في طريق طويلة شاقة إنك تقضي علي بالموت في هذه الصحراء ! .. وهو في كل مرة يلقي إلي بضع ليرات، وأنا ألح بطلب المزيد حتى أصبح بين يدي بضع وثلاثون ليرة وقف عندها، ولم تجد بعدئذ معه كل التوسلات. خرجت من المضرب الصغير لا يستر جسمي غير الثوب البالي الذي كان تكرم علي به مضيفي يوم نزع عني ملابسي، وضن علي بحذاء عتيق وبغطاء رأس، وقد خشي على ما يظهر أن يأخذ الجواد لأنه قد يكون دليلاً على جريمته في المستقبل فسمح لي به، ثم جاد علي أخيراً بمسدسي.

سرت الضحى كله فلاحت لي عن بعد قرى حمص، ثم مررت بساقية ورد منها جوادي، ولطخت بوحلها وجهي وساقي حتى لا تبين ملامحي لمن يصادفني في الطريق وفي حمراء الظهيرة دخلت مدينة حمص، وكان أول ما لاقاني " حي باب خالد " وفي الشرق الجنوبي من المدينة، فعزمت أن أضع جوادي في أحد بيوت الأهلين الذين يأوي إليهم بأجر زهيد أمثالي من ضيوف الصحراء ثم

ألجأ إلـى مسـجد " خالـد بـن الوليـد " فـأبقى فـي زاويـة مـن زوايـاه إلـى الليـل، ثـم أخرج متستراً بجلباب الظـلام إلى دار عمر بك الأتاسـي، أو هاشم بك الأتاسي، وألجأ إليهما لعل أحدهما يستطيع إخفائي وتسهيل سفري خفية إلى عمان)) .

إن وصفه الصـادق هذا قد طـابق ما رواه لنـا أيضـاً مرافقه فـي مطلـع سفره – رحلتـه إلـى الأردن – المـلازم الشـغوري بأنـه قد كسـر طـوق حصـاره ونجـح فـي الـهروب إلـى جبـل البلعـاس ومعـه رفيقـه خيـرو [هـو الاسـم الثـاني لعمـر زكـي الأفيونـي الطرابلسـي – فايز].

يضـطر هنـانو إلـى تمويـه نفسـه كـأعرابي، متوجهـاً إلـى حمـص حتـى تمكـن مـن الوصـول إلـى دمشـق وينـزل عند آل البكري وألحقوه بقافلـة الـى جبـل العرب وحلّ ضـيفاً علـى القـائد المبجل سلطان باشـا الأطـرش، والـذي لـم يكن يعرفـه قبلاً، إذ استقبله كغريـب، ثم كشـف أمره أحدهم، فقام السـلطان وعانقه ثانيـة، ورفعـه إلـى صدر المجلس، وقال لـه : أتخشـى الأعداء وأنت فـي ضـيافتي، فو الله لن ينالك الفرنسـيون، وفـي بيـت معـروف قطـرة مـن دمـاء "[1] ولكـن خبـر ضـيافته يشـاع، ويطلـب المستشـار الفرنسـي تسـليمه إليـه فـرفض طلبـه وأوصـلوه إلـى المرحـوم الأمير عبد الله. وظل يحاوره هنانو أربعة أيام دون جدوى، بتقديم المسـاعدة لـه، وأظهر أسفه لترحاله إليه .

---

[1] يذكر المجاهد الشغوري في مذكراته فضل بني معروف في شمال إدلب وجبل الأعلى على هنانو والمجاهدين وحفظهم ومساعدتهم عائلته عندهم .



الصورة ٢٣ – الزعيم هنانو بعد اعتقاله

أبرق هنانو إلى أهله ليمدوه بالمال واللحاق به إلى القاهرة، كي يلتقي بالمجاهد ميشيل لطف الله وفيما هو في القدس تقبض عليه الشرطة الإنكليزية وتسلمه إلى الفرنسيين في بيروت . ونضيف بأنه وهو في ضيافة آل الأطرش، كان قد اتصل بالمجاهدين يطمئنهم عنه . وينقل فيما بعد إلى حلب في سيارة مسلحة في تموز ١٩٢١م.

٣-محاكمة إبراهيم هنانو[١] : بعد انتقاله يودع في السجن لمحاكمته، وتم تشكيل محكمة عسكرية خاصة تضم ثلاثة ضباط فرنسيين واثنين من المدنيين لمحاكمته، وإن كانت نيتهم تتجه إلى إعدامه . بدأت المحاكمة في تموز ولم تنته قبل مضي سبعة شهور وقد وكل عنه المحامي فتح الله صقال الذي قدم مدافعتين الأولى عدم صلاحية المحكمة العسكرية في محاكمة هنانو .(الصورة ٢٣) والثانية في حال رد هذا الدفاع سيبحث في عدم قانونية تسليم هنانو، إلى السلطة العسكرية الفرنسية.

[١] فاصل السباعي :محاكمة ابراهيم هنانو في المجلة المصرية ١٩٦٠ ص – ٢٨- وملحق المحرر العربي نيسان ٢٠٠١ ومجلة العربي عدد ٢٠ عام ١٩٦٠ ص - ٧١- وغيرها من المراجع.

بعد إطلاع المحامي على ملف الدعوى ،ودراستها من وجوهها جميعاً، بدى له بجلاء أنه ليس ثمة ما يبرر اعتبار هنانو مجرماً عادياً أو مجرما سياسياً. ذلك أن ما دار بين هنانو وبين جيش فرنسا أما هو حرب ((أصولية)) ، وأن جنرال غورو ، قائد الحملة الفرنسية ، كان قد قابل هنانو للاتفاق معه على الهدنة ، بل إن هدنتين متواليتين كان قد تم عقدهما مابين الفريقين المتحاربين ،مثلما تبادل الطرفين الأسرى .. ولكن قاضيه خصمه... فهل يجدي الدفاع عنه شيئاً ؟!

سطر المحامي بذلك كتاباً إلى الجنرال غورو، المفوض السامي في سورية ولبنان ، يدلل فيه على أن ليس ما يبرر، من الوجهة القانونية ، القبض على هنانو الثائر المحارب .. وطلب إعادته إلى فلسطين أو يطلق سراحه في الأراضي السورية.فجاء الرد من الجنرال ده لاموت، المفوض السامي بحلب، أن لابد من السير في الدعوى وانتظار نتيجة التحقيق.

وامتداد التحقيق، وسماع شهود الإثبات والنفي؟، شهوراً ... وهنانو في سجنه.

قبيل انتهاء التحقيق عاود المحامي الكرة ، كاتباً إلى الجنرال غورو يطلب تطبيق المادة الخامسة من اتفاقية أنقرة التي تنص على العفو عن جميع الجرائم السياسية التي ارتكبت أثناء العمليات الحربية ، متوسلاً لمختلف الوثائق أن هنانو كات يتبع إلى الناحية العسكرية الجيش النظامي التركي، بدليل ما كان يتلقى منه من عتاد ... وجيئ الرد من الجنرال رينو ، قائد الفرقة الثانية

المرابطـة بحلـب أن الـدعوى أصـبحت بـين القضـاء العسـكري ولابـد مـن انتظـار الحكم الذي تصدره.

تبدأ المحاكمة في أكثر من جلسة، ورغم جهود المحامي للدفاع عنه بالمستندات القانونية الدولية، لكن المحكمة تطالب المحامي بالدخول في أساس الدعوى . ومما قاله هذا المحامي : " إن استقلال سورية من الناحيتين الداخلية والخارجية، هو المثل الأعلى الذي توخاه هنانو منذ زمن طويل، لقد بذل كل ما يستطيع من جهد ليحقق أمنيته " .. . "

إننا إذا استعرضنا الأمور المنسوبة إلى ابراهيم هنانو، يتضح لنا جلياً أنها لا تتجاوز نطاق الجرائم السياسية، ولكنها تمت بصلة إلى الأعمال الحربية، التي تجيزها الحروب . وخلص إلى القول بأن تسليم هنانو مخالف للأصول القانونية والدولية المتبعة. ." وحين طلب من هنانو الدفاع عن نفسه بعد أن قال رئيس المحكمة: أنت متهم بالاشتراك مع عصابات الأشقياء، وقد كنت ترأسهم وتدير حملاتهم . فأجابه هنانو : إنني لا أعد مجرماً، لأن أمرنا سياسي صرف، إنني متهم سياسي، ولو كنت مجرماً لما فاوضني ممثلكم الجنرال غوبو لعقد هدنة ومبادلة الأسرى، ولما عقدت معي حكومة أنقرة التي تعترفون بها اتفاقاً، لأن الحكومتين الفرنسية والتركية، أسمى وأجل من أن تتنازلا لمفاوضة مجرم شقي . أنا ثائر سياسي، أدافع عن وطني " وحين سأله رئيس المحكمة : " من اضطرك لأن تحارب ؟ أجابه عندما أهاجم أغدو مضطراً لأن أدافع عن نفسي .

سأله رئيس المحكمة : ومن الذي أعطاك حق التكلم باسم هذه الأمة ؟ !

وهنا نهض شاب في الثلاثين من عمره، لم يتمالك من التهدج وهو يرد على رئيس المحكمة بقوله : نحن الأمة كلها أعطت إبراهيم هنانو حق التكلم باسمنا !

وكان اسم هذا الشاب سعد الله الجابري، (الصورة ٢٤)



الصورة ٢٤- المناضل الوطني
سعد الله الجابري (١٨٩١-١٩٤٧م)

أيضاً والذي عرض نفسه للإعدام بدلاً منه، قد دفع بهنانو للإنضمام إلى الكتلة الوطنية، لأنهما أصبحا كأصدقاء ودفنا في مكان واحد بحلب .وكان بين الشهود عبد الرحمن الكيّالي ، أحمد المدرس ، والشيخ عبد الوهاب طلس ،والشيخ كامل الغزي، وعبد الوهاب ميسر ،والاستاذ راشد المرعشي ، وغيرهم .
ومن طرائف المحاكمة أثناء استماع شهود الدفاع أن رئيس المحكمة سأل أحمد المدرس ، أما إذا كان يحب فرنسا ؟
فأجابه على قدرالإمكان يا سيدي فضحك الجمهور وغضب رئيس المحكمة مهدداً باخلاء مقاعد المستمعين
ومن الشهود الذين دافعوا عن هنانو القصاب (أبو القصاب) أصغر الشهود سناً، فسأله رئيس المحكمة: ماذا تعرف عن قصة المجرم هنانو ؟
فأجابه محتداً : ليس مجرماً بل قائد ثورة ، لا تنسوا أنكم عملتم هدنة مع هنانو وبالتالي ليس مجرماً .. فصاح المدعي مقاطعاً ... ، هنا طلب هنانو الكلام قائلاً :

يا للعجب تطلبون الشاهد يتكلم عن الحقيقة ، وليس على كيفكم .. مثلاً .. ثم تقاطعوه ..

أما النائب العام في مطالعته فقال : " لو كان لإبراهيم هنانو سبعة رؤوس بعدد جرائمه السبعة، لطلبت إعدام رؤوسه السبعة، ولكنه لا يملك إلا رأساً واحداً، ويؤسفني أن أطلب إعدامه ليكون عبرة لغيره، أطلب ذلك بالرغم مما يحويه رأس هنانو، من دراية واتزان " . وقد رد المحامي على ادعاءاته مفنداً ومنها قوله:

" لو كان هنانو من الأشقياء لما عقدت معه هدنتان، ولما اتفق معه على تبادل الأسرى، ولما عرض عليه الكولونيل (فوان) أن يبقى رهينة لدى رجال هنانو، ريثما تتم المقابلة بين الجنرال غوبو وبين هنانو. وقد كان من نبل أخلاق هنانو، وسعة مروءته، أن رفض ما عرض عليه الكولونيل (فوان) قائلاً : أنه واثق بالشرف العسكري الفرنسي ... إن هنانو قام بثورته مدفوعاً بعاطفة وطنية نبيلة .. . إن الوطنية ليست وقفاً على فرنسا وأبنائها، وإنما هي عاطفة طبيعية متغلغلة في أعماق النفوس، تشعر بها كل أمة من أمم الأرض، ومنها الأمة السورية " وأما التهم الأخرى المنسوبة فعددها ست.

الأولى : ما حدث في قرية اسقاط وقتل مختارها لتجسسه، فهنانو هو المسؤول.

والثانية : أعطى الأمر لنجيب عويد نفسه بقتل جاسوسين، فاعتبر هنانو شريكاً له.

والثالثة : نهبت في إحدى المعارك، قرية سرمين دون ان تعرف هوية السالبين.

والرابعة : مصادرة القائد التركي عاصم، بالقرب من قرية تفتناز، بعض عربات كانت تنقل مؤناً وخرافاً للجيش الفرنسي.

والخامسة : ادعاء مختار قرية كونلي أن القائد العسكري نجيب عويد هدده بالقتل، وبنسف القرية برمتها، فيما إذا ثابر على معاونة الجيش الفرنسي.

والسادسة : قلع الثوار بعض قضبان سكة حديد بيروت – حلب للحيلولة دون إرسال الإمدادات إلى الجيش الفرنسي.

اعتبرت النيابة العامة هنانو مسؤولاً عن جميع هذه الأعمال، بصفته متدخلاً تدخلاً فرعياً . لكن المحامي صقال أثبت بالوقائع المادية أن إبراهيم هنانو ليس قائداً عسكرياً، بل زعيماً سياسياً، وأن هذه الأعمال كلها، إنما حدثت بدون علمه، وأنه عندما اطلع عليها استنكرها كل الاستنكار، ثم تناول المحامي صقال الموضوع من الناحية القانونية ومما قاله :

" إنكم ستبرؤون هنانو، لأن الوطنية ليست جريمة، ولأن الوطن السوري ليس كلمة باطلة جوفاء . وفي آخر يوم من جلسات المحاكمة كان هنانو سجيناً في خان اسطنبول بحلب مقر السجن العسكري.

قدرت الجماهير المحتشدة داخل دار الحكومة وخارجها بثلاثين ألفاً ونيف. وحين صدر الحكم ببراءته تعالت أصوات الجماهير هاتفة : عاشت ثورة سورية .. . عاش إبراهيم هنانو !

لقد خرج هنانو من السجن وكان من أوائل المعانقين له رفيق دربه المجاهد القصاب وذلك في آذار ١٩٢٢م إلى داره الكائنة يومئذ في أحد أزقة باب الجنين .

قال عنه الصحفي ناصر الدين النشاشيبي " خرج إبراهيم من السجن، وهو ملك سورية غير المتوج .. . فلم تعرف سورية في تاريخها ذاك زعيماً أحبته، و أيدته وبايعته بالولاء والوفاء والإخلاص كإبراهيم هنانو " ومما يرويه المحامي فتح الله صقال : ذات ليلة جاءني الضباط الفرنسيون الثلاث أعضاء المحكمة الخاصة لمحاكمة هنانو. وقالوا لي أنهم استجابة لضمائرهم أرادوا أن يبرئوا ساحة إبراهيم

هنانو، وأنهم بالفعل حكموا بعدم إعدامه، ولهذا فإن حكومتهم قد استدعتهم إلى باريس، وستجري هناك محاكمتهم لكي تطبق عليهم أقصى العقوبات.

٤- مسيرة حياته بعد توقف الثورة: بعد إعلان براءة هنانو، لن تكون حياته هينة سهلة فالألم يعتصره لتوقف الثورة، ولوضعه تحت الإقامة الجبرية، ومراقب من قبل مخابراتهم، ولكنه تمكن من الإفلات من هذه المراقبة، حين اندلعت ثورة ١٩٢٥، لكي يسعى إلى تحضير ثورة أخرى، لتخفف الضغط عن ثورة إخوانه في الجبل (الجنوب) كيف لا وقد استقبل من قبل سلطان الأطرش أحسن استقبال، وتعانق الشمال والجنوب، كأخوة جهاد ضد الاستعمار، ولكنه لم يوفق في مسعاه لضعف الإمكانيات .

أما الموقف التركي فقد تبدل بعد ازدياد شعبية هنانو والتفاف الزعماء السياسيين حوله ،إذ روى هنانو لمنير الريس قوله : ((ومع ذلك فقد عاد الأتراك إلى التحكك بي والاتصال بي، بعد خروجي من سجن الفرنسيين ، ومحاكمته في حلب فأرسلوا أحد رجالهم إلى حلب يطلب مني أن أزور تركية للتفاوض معهم بشأن مساعدة سوريا ، فلم أرفض مبدأ المفاوضة في سبيل حرية وطني ،وطلبت منهم أن يفوضوا قنصلهم في حلب ، أو يرسلوا مندوباً مفوضاً من قبلهم للتفاوض سراً معي،لكنهم أجابوا بأن رجال السلك القنصلي ليس من مهماتهم الدخول في مثل هذه المفاوضات والاطلاع على أسرارها ،وإن إيفاد منتدب إلى حلب لا يضمن نجاح مهمته بسبب رقابة الفرنسيين المبثوثة حوله وحولي ، وأن أفضل طريقة هي السفر إلى تركيا للتفاوض بشكل مباشرة معهم. ولكني كنت أخشى إن سافرت بنفسي لتركيا واستشم الفرنسيون ريح اتصالي بالمسئولين الأتراك ، أن يعمدوا إلى منع عودتي إلى سوريا ، **فأبقى مبعداً لا أستطيع أن أقود الحركة الوطنية الشعبية في وطني ، وخاصة في الشمال ،**

إذ لا يوجد بين أخواني الوطنيين أن يسد مكاني .وأخيراً عرضت عليهم أن أوفد إليهم مندوباً عني مفوضاً إليهم يفاوضهم ، فرضوا على مضدد ، ولما وصل مندوبي إلى أذنة (أضنة) ، قابله المندوب التركي قادم من أنقرة ، واستوضح منه عن مطالب الزعيم هنانو من الحكومة التركية ، واستمع إليها ، و دون أن يجيب عنها بكلمة واحدة غادره إلى أنقرة وعاد المندوب السوري من تركيا بخفي حنين ...)) وأكد هنانو مراراً محاولاتهم الاتصال معه بواسطة اللاجئين السوريين في تركيا.. كلما عنّ لهم ذلك وهو يقبل التفاوض لإيقاد الثورة ضد الفرنسيين، لكن منير الريس يؤكد له بأنه أقدر رجال الكتلة الوطنية على التفاوض والعمل لثورة مسلحة وأن القضية أمانة في عنقه ..فأجابه هنانو نعم ! .. يجب أن أسافر بنفسي إلى تركيا ، وأفقأ تلك الدملة .. مساعدات تركيا لنا نحن السوريين فإذا شدني الله بالعافية هذه المرة فسأحصل على جواز سفر إلى دول البلقان فلأم طارق زوجتي أرث من أهلها هناك ... [١]

* *

في سنة ١٩٢٨ م رشح نفسه ليكون عضواً في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السوري ، فينجح ليقوم بأعمال وطنية، أهلته ليكون عضواً بارزاً فيه، أدت إلى خوف سلطات الاحتلال منه، ثم رئيساً للجنة الدستور.

كما اشترك مع إخوانه في (تشكيل الكتلة الوطنية) التي قادت النضال السياسي للشعب بين ١٩٢٩ – ١٩٣٩م وأصبح بيته محجاً لرجال الحركة الوطنية يسألونه النصيحة أو الرأي أو البركة أو الرعاية الصادقة.

---

[١] نفس المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦



الصورة ٢٥- الزعماء الوطنيون في صورة جماعية يتوسطهم هنانو



الصورة ٢٦ - رجال الكتلة الوطنية عام ١٩٣١ م

(الصورة٢٥/٢٦) ثم ها هو يكتب لإحسان الجابري [والذي شارك في مهرجان تأبين المجاهد مصطفى الحاج حسين بإدلب] وللأمير شكيب أرسلان وللأمير عادل، يدعوهم للعودة إلى دمشق، لاستئناف العمل السياسي الموحد ضد الإنتداب الفرنسي لكن سلطات الإنتداب لا تغفل عن نشاطه فمن اعتقال مؤقت للتحقيق، إلى إقامة إجبارية،

إلى محاولة اغتياله في عام ١٩٣٢ م في شهر أيلول بإقدام نيازي الكوسا على إطلاق النار عليه في كفرتخاريم، فيصاب بقدمه، وينقل إلى حلب للعلاج فتهب حلب للاطمئنان عليه.

وأما الجاني فقبض عليه في إنطاكية، وحكم بالسجن عشر سنوات، ثم يصدر المفوض السامي الفرنسي عفواً خاصاً عنه !!!

وأخيراً يدب المرض بجسم هنانو (مرض السل الرئوي) في ١٩ حزيران ١٩٣٤م بشدة ، فهزل بدنه ونقص وزنه (الصورة ٢٧/٢٨)،وفي الصيف سافر إلى بحمدون في لبنان للرحاة والاستجمام وكذلك يذهب إلى جبل أربعين قرب ريحا للاستشفاء هناك



الصورة ٢٨ – آخر صورة لهنانو أمام بيته في كفرتخاريم



الصورة ٢٧– وفد من الشبان الوطنيين يزورون هنانو في وقت مرضه.

وكـان يلازمـه منـذ ١٩٢٥م، وتحملـه بجبـروت كمـا كـان جبـاراً فـي ثورتـه،وأشـار عليـه الطبيـب عبـد الـرحمن كيـالي زميلـه فـي الكتلـة الوطنيـة السـفر إلـى جبـل الأربعين للاستشفاء فـي ٢١ حزيران، ففيـه الهـواء النقـي الجـاف والعليـل البـارد. وسـافر عـام ١٩٣٤م إلـى بحمـدون بلبنـان للاستشـفاء، وأمضـى بقيـة حياتـه فـي آلام المرض وعذابه، وبدأ جسمه بالنحول وزواره لا ينقطعون عنـه، وهو يحدثهم عن ثورتـه فـي حرقـة وأسـى، إلـى أن فـارق الحيـاة فـي صـباح الخمـيس فـي ٢٥ شعبان ١٣٥٤ هـ / ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥ م في قرية ستي عاتكة[بين حارم وسلقين].

وكانت آخر كلماته لمن حوله: **قولوا لإخواني الوطن بين أيديهم**. فبادر وكيل الفقيد في القريـة ورفيقه في الجهاد الى حارم ، وأبرق إلـى سعادة سعد الله الجابري البرقية التالية:

((أفل نجمنا واحسر تاه ... مات الزعيم ..))

حارم – ابراهيم شغري [ثم صارت تكتب الشغوري]. ثم نقل إلى حلب ليشيع هناك بعد ثلاثة أيام في موكب لم يجر نظيره في سورية إذ شيعه أكثر من مائة ألـف مـن المـواطنين والوفود العربيـة[١]، وأعلنـت دمشـق وحمـص واللاذقيـة وحلـب وإدلب وحماه وكل المدن السورية واللبنانية الحداد عليه ..

* *

بعد وصـول النعـي الـى إدلـب اهتـزت بأركانها وأذن المؤذنـون وفـي اليوم التـالي أقيمت صلاة الغائب عقب ظهر الجمعة ، وألف وفد برئاسة نعمان أفندي نعمة وأعضـائه غالـب أفنـدي العياشـي وأنـور أفنـدي دويـدري ، وجيـه أفنـدي عياشـي ،

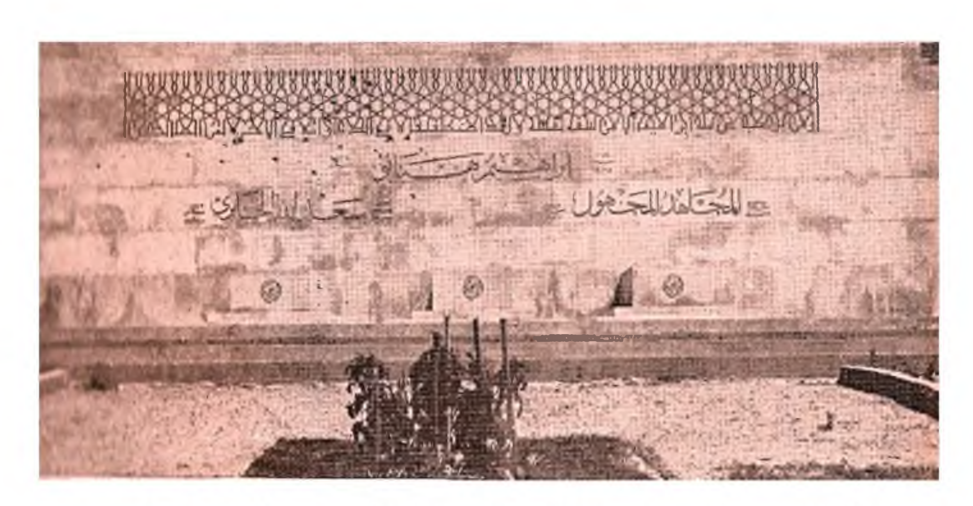
[١] راجع وصف تشييعه في كتاب المراحل ٢٧٣/٢٦٠/٣ لعبد الرحمن الكيالي

حكمت أفندي الحكيم والنائب نوري بك الأصفري ، وأرسلت برقيات منها : " عمّ الحزن إدلب فاغلقت حداداً على الراحل العظيم عزاؤنا أيقظ في النفوس من الطموح للمجد والتضحية في سبيل الحرية . الدكتور أنور دويدري "" الصورة (٢٩ / ٣٠) وغيرها. كما أرسل ملوك ورؤساء العرب برقيات تعزية منها برقية صاحب الجلالة الملك العربي عبد العزيز آل السعود، واصدر امره الى أئمة المساجد لإقامة صلاة الغائب عن روح الفقيد العظيم لجانب الكعبة المشرفة ، وأرسل يعزي بالبرقية التالية:

لقد أحزنتنا وفاة ابراهيم بك هنانو فنعزي سوريا بفقد زعيمها العربي الكريم.- التوقيع "عبد العزيز ")).



الصورة ٢٩- موكب تشييع جثمان الزعيم الوطني إبراهيم هنانو في حلب١٩٣٥م يتقدمه شيوخ جنود ثورة ١٩٢٠.



الصورة ٣٠- ضريح الزعيم الوطني إبراهيم هنانو في حلب يجاوره على اليمين ضريح المجاهد المجهول وعلى اليسار ضريح المناضل الوطني سعد الله الجابري.

٥ - رثاؤه: ومن قصيدة للمحامي جورجي أفندي خياط ألقاها عن حلب :

لأن غاب ابراهيم عنا فإننا ... سنبكيه ملء العين في السر والعلن

فأن نحن لم نرثي الزعيم فمن ترى ... نرثي ووجه الأرض قد غص بالدمن

ينادي إله العرش جل جلاله ... أبو طارق في جنتي اليوم قد سكن

عليك سلام الله ما لاح بارق ... وما ناح شحرور صباحا على فنن

* *

وفي ١٥ شوال ١٣٥٤ هـ/١٠/٢/١٩٣٦م أقامت (الكتلة الوطنية) في الشام حفلة تأبين كبرى لهنانو ، اشترك فيها أعظم أدباء وشعراء وزعماء العرب، ومن الذين رثوه شاعرنا الكبير بدوي الجبل.

يا أبا طارق تحية شعب ... زلزلتـه الخطوب والحدثان

أنت أقوى من المنايا وأقوى ... من أذى الدهر فاستفق يا هنانو

ومن أجمل الرثاء النثري الذي قرأته عنه في مجلة الرسالة المصرية . العدد ١٢٦ تاريخ ٢ ديسمبر لعام ١٩٣٥م للأديب أحمد حسن الزيات بعنوان:

" موت زعيم كريم ..إبراهيم بك هنانو "

وا أسفاه !! في الساعة التي اشتبهت فيها معالم السياسة في سورية، فتدسست الأماني الخوادع إلى الشعب ،وتفرقت السبل الجوامع بالزعامة،يغيب القطب الهادئ، ويهدم المنار الدالّ،ويخبو الضرام المذكى، ويخفت الصوت المجمّع ،ويموت الزعيم هنانو؟!روعت سورية من شمالها إلى جنوبها بنعي هذا الزعيم الكريم، ونالها من خطبه ما غلب على الصبر ومنع من القرار ،فهبت كلها تندبه وترثيه،وتبكي بطلها وأملها ودليلها فيه.

والحق أن الفقيد العظيم كان مثلاً نادراً في الزعامة البريئة الجريئة المخلصة: كان صلبا"في الرأي على قدر إ يمانه ،ومتمرداً على الباطل على سواء حقه، ،ومهيمناً على الشعب بقوة نفسه ونبل غرضه، جرد على الواغل الدخيل جيشاً من الوطنية الصابرة والحمية الثائرة والعروبة الغضبى ،ثم صمد له بالعدد القليل بعد سقوط دمشق سنة كاملة لم يلن لمغمز ولم ينكل عن خطة،حتى آل أمره إلى فلسطين فسلمته حكومتها إلى فرنسة فحوكم وبرئ،ومن ذلك اليوم كان معقد آمال السوريين يفزعون إليه في المعضلات، ويستنيرون برأيه في المشكلات ، وينضوون إلى رايته في المواقع.

كان رحمه الله على خلق الزعماء أولي العزم والرسالة :

نظر إلى أمته نظر الحكيم المصلح فألف بين قلوبها ووفق بين ميولهم وقرب بين عقائدهم ، ثم دافع عن مرافقها دفاع المؤمن النزيه، فلم يسف إلى دنئ المطامع، ولم يغتر بمظاهر الحياة، ولم يطمح إلى عزة السلطة، وإنما ظل

جنديا يقود ، ومحاميا يذود، وخطيباً يرأب بلسانه صدوع الفرقة ، حتى أضناه الجهاد المستمر، وأقعده المرض المخامر، فكان زعيما بالفكرة قائدا بالمبدأ،مرشدا بالقدوة ، ثم قبضه الله إليه فأحدث ذلك الفراغ المخيف ، وهز أمته تلك الهزة العنيفة ، لأن الزعماء الذين يصوغهم الله على هذا الطراز يكون في النهضات الاجتماعية من أممهم مكان السماط من حبات العقد ، ينظمون وحدتها، ويجمعون كلمتها ، ويمسكون نظامها ، ويعقدون أمانيها ، فإذا قطعت المنون ذلك الخيط ذهب العقد بدادِ مالم يكن من الله ناظم وعاصم سقى الله بصيب الرحمة ثراه وعزى فيه الأمة العربية خير العزاء).

* *

في حلب أقيم له حفل تأبين في كانون الثاني ١٩٣٦م ألقى فيه الرئيس هاشم الأتاسي كلمته ومنها: (ليس في حياة الفقيد فترة خالية من الجهاد في سبيل الأمة ، ولم يتقاعس عن نوع من أنواع التضحية لأجلها ......وضحى في سبيل كل عزيز ولكنه قضى وقلبه الكبير مؤمن بمستقبل هذه الأمة ، موقن بأن روح الوطنية فيها لن تخمد جذوتها بعد اليوم ، وأنها واصلة حتماً إلى ما تبتغيه رغم محاولة الأجنبي القضاء على هذه الروح....

إن في كل صفحة من صفحات حياة إبراهيم هنانو مثالاً يدل على نفس وثابة ، وروح كبيرة ، وإخلاص غير متناه، يجدر بكل سوري أن يقتدى به. فخسارة الوطن به أكبر من أن تقدر . ولكن إن مات إبراهيم.. فالوطن حي لا يموت).

كما ألقى الدكتور عبد الرحمن الكيالي كلمة ...وفي القسم الأخير من خطابه قال: (ألا في سبيل الله والوطن ماجاهدت البلاد وجاهدت ، وما قاست الأمة وقاسيت يا إبراهيم !أزمات ومعارك ومواقف كلها خطرة ،

وكلها مضنية ، فلأيها يقدم الشعب ماله، وبدنه، ولأيها يقدم راحته وحياته!).
كما كرمته حمص بإصدار كتيب من وضع وصفي عوف الحمصي ١٢/٤/ ١٩٣٥ م يتضمن الوفاء من أبنائها وكلمات الرثاء وبرقيات التعزية ، من سورية والوطن العربي وعنه ننقل مايلي :وفي كل قطر من هذه الأقطار التي تقدس العربية وتنادي بالوحدة القومية حزن لاتخمد ناره ولايخبو أواره ، على الراحل الكريم لأنه كان لهذه الجماعات في مطالبها إماما ولمقاصدها عصاما ... رأيناه في المجتمعات السياسية صاحب الكلمة العليا وصاحب الرأي المسموع ..)) .

* *

٦- الاضراب العام في سوريا : وأخيراً وليس آخراً، بعد وفاة هنانو ، اندفعت الحركة الوطنية السورية من أجل الاستقلال ، وفي (عشرة كانون الثاني ١٩٣٦) ذكرى الأربعين لوفاته، قررت الكتلة الوطنية في دمشق إقامة حفل تأبين له، لكن السلطات الفرنسية خشيت من الحفل وما سيلقى فيه من خطب وطنية، فقررت منع الاحتفال بالقوة، لكن الكتلة الوطنية تصر ، فقامت المظاهرات في كل أنحاء المدينة وانقلب الإضراب إلى صدام في الشوارع مع الجيش الفرنسي، مما أدى إلى منع التجول[١] سرت أنباء الإضراب إلى سائر المدن السورية، وتكررت أيامه ، شهراً وأسبوعين إلى أن انتهت المباحثات بين الجانبين إلى اتفاق في ١/٣/ ١٩٣٦م... بتوقيع معاهدة استقلال سورية ووحدتها ، وقد علّق الوطني عبد الرحمن شنبر بقول : إنني أكاد لا أصدق !

---

[١] للتفاصيل أنظر الكتاب الذهبي لمنير الريس ص – ١٩١ – وما بعد... ففيه وصف حي تتجلى وطنية السوريين

أن فرنسا لأول مرة في تاريخها الاستعماري تتراجع أمام إصرار الشعب وترضخ .

* *

في كل مناسبة للجلاء يذكر ما قدمه الزعيم هنانو من بطولات : فقد ذكرت مجلة الجامعة الإسلامية بحلب في عددها الصادر عام ١٩٤٦م بعنوان: (ذكرى بطولة الجلاء : برعم الوحدة ونواة الاتحاد وكيف أشرق ؟! وكيف عهده كان؟؟) فقد نشرت فيه صورة لإبراهيم هنانو كتب تحتها الزعيم الثائر (من أجل الجلاء) إبراهيم هنانو.

٧- الوطني الأول :



الصورة-٣١-الزعيم إبراهيم بن سليمان هنانو (١٨٦٩-١٩٣٥م)

هو أول من وضح وبين لشعبه، أبعاد الإنتداب، والذي كان يجهله الجميع، وأنه إستعمار . بل هو سبق الكثير من القوميين في خطابه هذا، والذي ينشر لأول مرة من رجل ثورة بقوله (من العرب إلى العرب) . خاض ٢٧ معركة ميدانية ، كما أنه دبلوماسيّ أول ، (الصورة ٣١) يدرك أبعاد كل حدث، كالواقعة في إنطاكية، في محاولة بعضهم حرق العلم العثماني،

وفي رسائله إلى القنصليات وتحريض الشعور الديني للجهاد بإصدار فتوى لمن تقاعس . لقد أصاب المجاهدون في إطلاق اسم (الزعيم) عليه (الصورة ٣٢) ، فهو قد استحقها عن جدارة وإن كان هو أطلق على نفسه (المتوكل على الله) وفي إحدى الرسائل للقناصل ذيّل رسالته :

(كاتب العام قائد حركات العمومية بمنطقة غربي حلب إبراهيم هنانو)

لم يكن من الزعماء (الأنانيين) ، يريدون لأنفسهم الجاه والسلطان، فهو يملك الكثير، ولكنه تخلى عن كل أملاكه، بل حرق أثاث بيته والمطحنة حتى لا تقع بأيدي الفرنسيين، ولم تجد محاولات الفرنسيين غير مرة نفعاً لإقناعه بالعدول عن الثورة، مهما كانت تلك المغريات، إذ سبق اجتماعه مع الجنرال غوبو محاولات تأثير عليه منها أحد ابناء عمه عارف أفندي هنانو ومعه أحد الرجال الجزائريين فقال لهم (متى كان للمجرم أن يصفح عن البريء، والدخيل أن يسمح لصاحب البيت بالإقامة فيه بعد ذلة منه منحة وكرماً) كما أن الجنرال غوبو عرض عليه الرشوة وهما على انفراد فرفضها، ولنروي هذه الحادثة الطريفة أيضاً في هذا



الصورة ٣٢- الزعيم هنانو باللباس الرسمي

الإجتماع للدلالة على شخصيته، وهي رواية شاهد عيان، هو مرافقه الملازم الشغوري (إن الجنرال وضع رجله اليسرى فوق اليمنى بشكل يستدعي الانتباه، وكان الزعيم هنانو على يمينه، فما كان منه إلا أن قابله بالمثل . وبهذا يكون

قد أفهمه عملياً فن الخروج عن الآداب .. . أعاد الجنرال رجله إلى الوضع اللائق، وقد ظهر اللوم واللؤم على وجهه، فعاد الزعيم هنانو إلى وضعه السابق) ودلت الوقائع والوثائق أنه لم يكن يريد أن يكون الزعيم (الأوحد !) والدليل تعاونه مع كل القوى الثورية في منطقة الحفة والشيخ صالح العلي وحماه وجبل العرب في السويداء، فحين وصل وفد منطقة الحفة باللاذقية إلى كفرتخاريم برئاسة عمر البيطار، للاتفاق على خطة موحدة والتنسيق مع تركيا للحصول على السلاح والذخيرة، لم يأب هنانو، بل كتب رسالة وأوفدهم إلى هناك، وحين يعودون مزودين بما يجب، كانت ترافقهم قوة تركية تحمل علماً يمثل تركيا وسورية، أي أن تركيا كانت قد اعترفت ضمنياً بثورة هنانو والممثلة لدولة سورية، وإن تراجعت فيما بعد، للضغوط الفرنسية، والمصالح المشتركة بينهما . إن القوة التركية قد أوفدت أيضاً إلى جبال الساحل يرافقها الكثير من مجاهدي الشمال منهم عقيل الاسقاطي وصبحي اللاذقاني وخيرو القصاب، ومحمد علي عفارة، وغيرهم من ثوار مصطفى الحاج حسين في جبل الزاوية.

جرت مناوشات عدة في منطقة الحفة وآزرت ثورة الشيخ صالح العلي، وحين عادت مرت بجبل الزاوية...

إنه " كصلاح الدين " إنسانيةً، حتى مع من خالفه في الرأي، أو كان عدوه، فهذا صبحي بركات في إنطاكية يقرر إيقاف الثورة، بينما هو يريد استمرارها ومع ذلك التقيا فيما بعد... وحين تم أسر فئة من الفرنسيين في جبل الأربعين وبينهم مستشار سياسي، أحسن معاملتهم، والتي كان لها أبلغ الأثر، حين أطلق سراحهم، بين الجميع، لذلك اقترح القائد (فوان) على الجنرال غوبو لمفاوضة هنانو، إذ نظر إليه ليس كمجرم، بل كقائد وطني سياسي، لذلك ظل فوان يراسله من فرنسا حتى وفاته ١٩٣٥م احتراماً له ! بينما غوبو اضطر فيما بعد

إلى القول :عندما قابلت إبراهيم هنانو شعرت كأنني أقابل جبلاً عنيداً، وخصماً شريفاً، وإنني أنحني إجلالا لصمود هذا الرجل))

لا نبالغ القول إن ثورة هنانو وشخصيته قد شدت بإنسانيتها وحقائقها ونبل مقاصدها الكثير من الفرنسيين والبلغار والألمان، إذ كان بين قواتهم من كان متطوعاً من غير الفرنسيين كالبلغار . وفي إحدى المعارك يأسر الشيخ صالح العلي أربعة من جنود الألمان واثنين من البلغار، ثم التحقوا بثورة هنانو، واشتركوا مع مجاهدينا، وأبلوا البلاء الحسن. ومن بين البلغار من رغب بمراسلة زملائه في الثكنة العسكرية باللاذقية، فيرسل هنانو هزاع أيوب إلى هناك بصفة بائع متجول، وينجح في الاستدلال على الضابط البلغاري (خريستو) ويسلمه الرسالة، وبذكائه الحاد، تمكنوا من الفرار وهم يسوقون بغلاً تحمل الرشاشات والعتاد الحربي، حتى وصلوا إلى قرية (قيماس) في الجبل الوسطاني، حيث كان هنانو واستبشر بهم خيراً في شهر شباط ١٩٢١ وخريستو هذا نفسه مع رفاقه، قد رافق الزعيم حين لجأ إلى البادية لحمايته، لكن العربان قتلوهم ومعهم بعض الألمان، ما عدا اثنين استسلما للفرنسيين . وقد عرضنا سابقاً بطولة أحمد الألماني ورشاشه الذي دافع عن مجاهدينا وكأنه منهم !! ..

هو لم يتوقف عن الدفاع عن حقوق وطنه، وشارك بشكل رئيس في تشكيل (الكتلة الوطنية) التي اجتمعت في حمص ١٩٣٢م ، وأصبح فيها عضو المكتب الدائم وسمي (زعيماً) ..وكذلك لقبه الشغوري في مذكراته بالزعيم وقائدها العظيم .

* *

٨- خطاب القلب: أيها الزعيم ...

ونحن نستعرض بعض سجاياك في الثورة، وتصميمك على تحرير الوطن،

لنعرف من تكون، وماذا تريد ! . لقد عشت معك قبل تسطير هذا البحث في مسكني السابق بساحة هنانو سبعة عشر عاماً، وكل يوم أشاهد تمثالك المنصوب فيها، كما عملت في بلدتك كفرتخاريم رئيساً للمركز الثقافي قريباً من منزلك وأهلك، واليوم جاء وقت تسجيل ما قمت فيه من أعمال وعرض شخصيتك وجهادك، وعذابك لتوقف الثورة، ومحاولاتك لإحيائها ثانية .. لتكون لك تحية من أبناء وأحفاد ثورتك وفاء وإخلاصاً.

لقد قلنا وأثبتنا أن هنانو لم يكن مجاهداً فقط، بل الجهاد دفعه إلى السياسة، وليس العكس، لأن سياسته، لم تنبع من سطور الكتب، بل من بين وهاد وجبال المحافظة واللاذقية، وسهوب حلب إدلب والساحل السوري وإنطاكية .

الفصل الثامن

الملحقات

الملحق الأول – من أقوال الزعيم إبراهيم هنانو : [1]

إن السياسة ليست واسطة بل غاية، وغايتها إسعاد الشعب بتأمين استقلاله وصون كرامته،ولكم كنت أود ان تكون بلادنا في حالة لا تحتاج معها إلى الانشغال كثيراً في السياسة، فنحن نشتغل لا لأجل الوصول إلى كراسي ذليلة، يمن علينا بها الأجنبي، ثمناً للعبودية والنيل من الحرية. أقول والمرارة تملأ نفسي أن الحقيقة العلمية التي تجلت أمامنا أربع عشرة سنة، تنحصر في ثلاثة أمور درج المستعمرون عليها في بلادنا : أ . إفقار ب . إذلال ج . تجهيل

. أدت سياسة الإفقار إلى (بور) التجارة كما تعطلت الزراعة والصناعة .

. أما سياسة التجهيل فانظروا إلى مناهج التعليم واسألوا المتخصصين، كم بينها وبين ما يقتضيه العصر الراقي؟! ولقد وصلت الفوضى في المدارس إلى درجة أن يحرم التلميذ من الترفيع، لمجرد كونه يدين بعقيدة وطنية أو سياسية.

. وفي سياسة الإذلال : أصدروا قوانين منع الحريات ، تحت اسم قمع الجرائم، وأناطوا تطبيقها بالمحاكم الفرنسية، التي تسللوا على استقلالها القضائي ، ومنعوا من تأليف الجمعيات الحزبية والسياسية وقضوا على حرية النشر.

لا علاقة للديانات في العلاقات البشرية، وإن الذين يدعون حماية الأقليات لا يستطيعون أن يخففوا عنها ذرة من الأضرار التي تصيب جميع أبناء البلاد.

---

[1] هذه النصوص نقلت حرفياً عن هنانو في مناسبات مختلفة ..

الملحق الثاني – رسالة نادرة بخط الزعيم هنانو وتوقيعه

غفريزه ٢٠ تموز ٩٢٦

٥٠.

حضرة الاخ الكريم علي غانم المحترم!

شوقاً وتحية، وبعد فسروري ان اجيبكم على كتابكم الباحث عن قضية الطريق كما يلي:

- منذ اربعة ايام تواجهت مع ضابط الاستخبارات في حارم بهذه القضية التي تهمكم بعد ما تهمكم وتهم كافة الاهالي فأخبرته بأسف لعدم تمكنه من اقناعهم واقناع المهندس بتحويل الطريق الى الجهة التي تقصدونها فاجابني ان قرار المهندس لا يخرج منه ومن الاهالي الى تعهد ذلك القسم بعمله ونفقاته كما انه لا يمكننا الموافقة على قرار المهندس وبما اننا مستعدين لتحمل كافة المسؤولية المالية التي يترتب علينا هذا الخط مع قبول كل التضحية في مروره من املاكنا مثل نصف اشجار وتحويل الطريق [illegible] على مهاجمتنا كما انه لنا الامل الوطني بان [illegible] بعضاً كل جهوده لتطمين رغائبنا هذه المشروعة وختم البحث على هذه الصورة.

- اما من جهة مطالب التضحية فعندي اولاً ان نتذاكر بما بحث تماماً منه السيد [illegible] والخلاصة وبعد الاتفاق على خطة نعمل لاجرائها والا لا نوافق [illegible] اقتنعنا والتماسنا ما لم يرجع لديها جانب الموافقة وعليه ارجو تشرفني مع حضرة سيد الحاج عبد الوهاب لمحلكم في غفريزه غداً الاربعاء صباحاً لتداول [illegible] في الامر منتظر الاجابة وبقيت الداعي المخلص

ابراهيم هنانو

غزيزة ٢٧ تموز ١٩٢٧م

حضرة الأخ الكريم علي آغا رستم المحترم:

شوقاً وتحية، وبعد اسمحوا لي أن أجيبكم على كتابكم الباحث عن قضية الطريق كما يلي: منذ أربعة أيام تواجهت مع ضابط الاستخبارات في حارم بهذه القضية التي تهمني بقدر ما تهمكم وتهم كافة الأهالي فأخبرني بأسفه لعدم تمكنه من إفهام وإقناع المهندس بتحويل الطريق إلى الجهة التي تقصدها فأجبته أن فكر المهندس لا يتفق مع منافع الأهالي التي تعهدت القيام بعمله ونفقاته كما أننا لا يمكننا الموافقة على قرار المهندس. وبما أننا مستعدين لتحمل كافة المسؤولية الحالية التي يرتبها علينا هذا الخط مع قبول كل النمطية في مروره من أملاكنا مثل تلف أشجار وتحويل الطرق، فنحن مصرين على مبادئنا كما أن لنا الأمل الوطيد بأن يصرف هو أيضاً كل جهوده لتطمين رغائبنا هذه المشروعة وختم البحث على هذه الصورة. أما من جهة مطالعتي الشخصية فيجب أولاً أن نتذكر بما يجب اتخاذه من التدابير والخطط وبعد الإقرار حال خطه نعمد لإجرائها وإلا لا يوافق أن نجازف بأفكارنا والتماسنا ما لم يرجح لدينا جانب المرفقية، وعليه أرجو تشريفكم مع حضرة ابن الخال عبد الله آغا لمحلكم في غزيزة غداً الأربعاء سوياً لتناول العشاء لدينا والمذاكرة في الأمر منتظر الإجابة سيدي الأخ المحترم.

إبراهيم هنانو -التوقيع

-علي آغا رستم أحد وجهاء مدينة سلقين ، الذي لم يتوان عن التواصل مع هنانو و مساعدتة.

-تؤكد هذه الوثيقة على وفاء هنانو في تقديم المساعدة الممكنة لكل من وقف مع الثورة ، لأنه كان يشغل نفسه بهموم المواطنين ومعاناتهم، فيقدم لهم ما يمكن تقديمه ...بالرغم أنه لا يمتلك السلطة التي تخوله إصدار القرار اللازم وقد عانى من أجل ذلك الكثير ، فهو الذي مات فقيراً وترك أهله بلا ثروة تعينهم على مشاق الحياة..ألا يحق لنا مع هذا الرجل أن نقف منه موقف الاحترام والوفاء ، ونعلم أجيالنا أنه زعيم مدرسة وطنية صادقة !!!

المؤلف

الملحق الثالث – خطاب هنانو بجامع البهرمية في حلب:

٢٩ تموز ١٩٣٢ م

أيها الأخوان ، أطأطئ الرأس إجلالاً لذكرى النبي العظيم محمد (ص) تلك الذكرى ، ذكرى مولد النبي العظيم المبشر بالهداية والسلام، وداعياً للحق والوئام.

وبعد ذلك اسمحوا لي أن أقول : رب معترض يعترض بأننا جعلنا الجوامع محلاً للخطب السياسية والبحث في المسائل القومية ، ولكن لو تذكرون أن العرب المسلمين كانوا يجتمعون في الجوامع ، وكانوا يجعلون مكان العبادة مكاناً للإجتماع وإلقاء الخطب ، وإرشاد الناس في دنياهم وهدايتهم ، لذلك سميت الجوامع لأنها تجمع بين الناس ، لذلك فإني أقول لم نأت ببدعة جديدة ، بل إننا نحي عوائد العرب ، لأن هذه الأماكن المقدسة جعلت للنصح والإرشاد وليس للعبادة فقط.

كان خلفاء الإسلام وملوكهم أسلافنا يفعلون ذلك ، ونحن إذ أتينا إلى الجوامع لم نكن قد أتينا ببدعة كما يدعى بعض الناس وإني أقول : إن الدين والسياسة والوطنية شيء واحد.

أتى الإسلام مبشراً بالعدل والسلام ، فإنه لم يأمر بالعداء لأي دين ، كان يحترم جميع الأديان السماوية ، وهي أديان أهل الكتاب.

لذلك فاعذروني أيها السادة فإني لا أستطيع أن أتكلم وأبحث إلا في السياسة والاجتماع.

إن هذا الشكل الحاضر الذي أرادوا إتحافنا به من مجلس نيابي وتوليد حكومة ، فأنا أعلم وأنتم تعلمون أن هذا المجلس ليس له صفة تمثلنا ، والعهد ليس ببعيد

حيث سفكت دماء الشباب والتلاميذ ، هذا المجلس لا يمثل غير القوة التي أنتجته.

نحن الآن نعترف أن الوضع الحاضر في هذه البلاد هو غير شرعي، والمجلس يجب تهديمه، فإن كنتم تحترمون كرامة أنفسكم وحقوقكم يجب عليكم ألا ترضخوا لمن اعتدى عليكم وعلى كرامتكم وألا تقبلوا بمجلس لا يمثلكم، ونحن ساعون لتهديم هذا المجلس النيابي المزيف مهما كلفنا الأمر.

أنا أعلم أن القوي يفعل ما يشاء بالضعيف ، ولكنه لا يقدر أن ينزع منه إيمانه وعقيدته ، أما يكفي القوي أن يتسلط بقوته على البلاد ومرافقها وقوانينها.

القوي يفعل ما يشاء ، والضعيف لا يقدر أن يقف أمام القوة، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، ولما كلفنا الفرنسيون بسن الدستور شاؤوا تشويهه وعمله حسبما يريدون.

إن القوة تريد أن نرضى لها هذا الموقف ، وهذا لا يمكن أن نرضى به وفينا عرق ينبض. إليكم أيها الشباب أوجه كلامي أنتم رجال المستقبل ، الوطن اليوم يستصرخكم ويستنجد بكم ، وأنتم عزل من السلاح فبأي شيء يمكنكم أن تخلصوا هذا الوطن ؟ إنه يمكنكم أن تخلصوه بشيء واحد أقوله لكم وهو: التمرد.

أيها الشباب إذا طأطأتم رؤوسكم أمام الظلم تكونون أنتم المسؤولين عن أعمال الظالم. نحن نريد من كل هذا النضال والتضحية تأسيس حالة عادلة في هذه البلاد ، وإيجاد دور تحترم فيه القوانين، أنا لا أريد أن أحرضكم على التمرد على القانون إذ كان لكم رأي في سنّه ، فالأمم ليست مكلفة باحترام قوانين ليس لها رأي.

أرأيتم الأعلام والمدافع والطيارات والدبابات والمصفحات في يوم عيد ١٤ تموز [١]، أتدرون لماذا يعيّد الفرنسيون هذا العيد ، ويستعرضون فيه جيوشهم ودباباتهم. إنهم يعيدونه لأن المظلوم تمرد على الظالم مع أن هذا المظلوم كان أعزل من السلاح ، وكان ذلك منذ قرن فحمل بعصيه وفؤوسه على سجن الباستيل في باريس ، وهدمه وجعله قاعاً صفصفاً.

ولكن مع الأسف فإن هؤلاء الذين هدموا الباستيل قبل قرن وربع أقاموا فوق رؤوسنا باستيلاً جديداً، هو باستيل باب الفرج [٢] ، فمزقوا فيه أجسام الأبرياء، وانتهكوا فيه الأعراض ، وأباحوا المحرمات.

منذ عشر سنوات كانت كلمة الوطنية لا تعرف إلا في الكتب، أما الآن فقد أصبحت مشاعة يعرفها الجميع. إني أعرفكم معنى الوطنية أيها الشباب : إن الوطنية هي الكرامة ، وثمن الوطنية هو التضحية.

أكرر قولي إليكم أيها الشباب قبل كل شيء، وافتكروا بكرامتكم وثقوا واعتدّوا بأنفسكم. لا تقولوا بأنكم ضعفاء ، فأنتم أقوياء بإيمانكم وإخلاصكم فأنا أحرضكم على التمرد أمام الظالم وأحرضكم وأحرضكم وأحرضكم.

---

[١] هو العيد الوطني لفرنسا

[٢] هو يقصد مخفر باب الفرج الذي كان قائماً حينذاك.

الملحق الرابع – المنشور الذي وجهه هنانو إلى الوطنيين في حلب :

٤ كانون الثاني ١٩٣٢م

إثر الدعايات التي روجها عملاء الاستعمار ، للتفريق بين المسلمين والمسيحيين ، قرر الزعيم دحض أقوالهم ، كاشفاً نوايا الوطنيين نحو الأقليات بقوله :

في الوقت الذي تجتاز فيه البلاد أدق مرحلة في حياتها السياسية، يدعونها إلى انتخاب المجلس النيابي لتقرير مصيرها ، وعقد معاهدة مع الحكومة الإفرنسية ، وتصديق الدستور الذي سنه المجلس التأسيسي، رأيت من الواجب الوطني أن نقدم ثانية لخدمة الأمة. هذا رغم الأحداث الشاذة التي حدثت في سلامة الانتخاب ، بسبب التأثير الذي أوقعته قوى الحكومة بصورة علنية غير مشرفة متكلين على الله وعلى وطنية الأمة وقوة إرادتها ونضوجها السياسي الذي أظهرته في أحرج المواقف. سيما في موقفها الحاضر الذي رفع رأس الحلبيين عالياً، فلا أرى حاجة لبسط برنامج مطول نملؤه كغيرنا بالأقوال الفارغة والافتراءات والتعرض للكرامات ، لأن الكتلة الوطنية التي اعتادت أن لا تطلب الثقة قبل العمل والتجربة.

فيكفي إرجاع النظر لأعمالها الماضية وموقفها الشريف في المجلس التأسيسي ، وفي الدستور الذي سنته، وعدم تفريطها في حقوق الأمة لأجل الرئاسات والوزارات ، حيث فضلت الاعتقال والنفي على البقاء في كراسي وزارات غير مشرفة، فهذه السوابق الشريفة والماضي المملوء بالتضحيات في سبيل حقوق الأمة لهي وثيقة نزيهة نتقدم بها ناصعي الجبين، مفتخرين بثقة الأمة وتقديرها، وبهذه المناسبة لا يمكنني إلا إبداء الأسف للحركة الرجعية التي يثيرها ذوو المآرب قصد الإخلال بالتضامن التاريخي الوثيق بين العناصر والأديان ،

والذي حافظت على نزاهته رغم الدعايات التامة التي قامت حياله في أحرج الظروف، فالإخلاص الوطني يحتم علي تبديد ما علق في النفوس من الأوهام بتأثير تلك المساعي الرجعية، فأقول بكل صراحة

أولاً : نحن نعلم نشاط إخواننا المسيحيين وثقافتهم العصرية ، ونسعى برغبة صادقة لتوحيد هذه المواهب مع ثقافة إخوانهم المسلمين ... لسبيل سعادة هذا الوطن في كل نواحي الحياة : اقتصادية كانت أو سياسية.

ثانياً: إن الوطنيين السوريين وبينهم نخبة صالحة من رجالات المسيحيين لا يرمون بجهودهم المتوالية سوى تأمين حرية البلاد ورفاهيتها بالاشتراك مع إخوانهم من كافة العناصر كل بقدر مسعاه وأهليته، لا ميزة بينهم إلا بالعلم والكفاءة والثقافة والإخلاص.

ثالثاً: نعلم أن العنصر الأرمني ليس له مطمح سياسي خاص في هذه البلاد، ولا يقصد غير حرية المساعي والاستفادة من كافة الحقوق كإخوانهم السوريين، فالوطني الذي يشعر بهذا الشعور المشترك هو أخ لا محالة في الوطنية ، له ما لنا، وعليه ما علينا ، وموقفهم الحر لهو أكبر دليل على أننا نرحب بالحرية العامة لكافة العناصر.

رابعاً: إن حقوق الأقليات التي يتخذها المضللون وسيلة لإنقاذ مآربهم هي محترمة عندنا أكثر مما يتصورون ، ونرغب توسعها إلى مدى أبعد مما حددته عصبة الأمم للأقليات في مختلف الممالك ، ودليلنا على هذه النيات الحسنة مواد الدستور الذي سنه المجلس التأسيسي – وهي – المادة "٦":

السوريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفيها عليهم من الواجبات والتكاليف العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل واللغة أو الدين أو المذهب ، وأضافت المادة (عشرة) إلى ذلك

بقولها : (حرية الاعتقاد مطلقة) ، والدولة تحترم جميع الأديان والمذاهب القائمة في البلاد ، وتكفل حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد على أن لا يخل ذلك في النظام العام ، ولا ينافي الآداب ، وتضمن الدولة للأهليين على اختلاف مللهم احترام المصالح الدينية والأحوال الشخصية.

المادة " ١٦ " (لكل سوري الحق في تولي الوظائف العامة ، ولا ميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الكفاءة حسب الشروط المبينة في القانون).

المادة " ٢٨ " (حقوق الأقليات الدينية محفوظة لهذه الأقليات، حق إنشاء المدارس لتعليم أطفالها لغاتها على ألا تخالف بذلك المناهج العامة التي تعين قانونياً).

هذا هو المظهر الحقيقي لسياستنا ونوايانا الحسنة بشكله القانوني إذ أن شعورنا الأدبي النزيه نحو إخواننا من كافة العناصر لهو أقوى رابطة شريفة لتحكيم الإخاء الوطني المشترك.

فإلى الوئام والسلام.وفقنا الله لما فيه خير الوطن

* *

الملحق الخامس – رد هنانو على مشروع المعاهدة عام ١٩٣٣م:

نشر المفوض السامي نص المعاهدة التي لا تتضمن السيادة ، ولا الوحدة ، ولا مصلحة البلاد لذلك بدأت المظاهرات والاحتجاجات ،لأنه أعلنت من طرف واحد ، ولم يصدقها النواب .. بعد لقاء هنانو مع وجهاء حلب انتقل بسرعة إلى دمشق ، واجتمع بنواب الكتلة الوطنية ، وهاشم الأتاسي مع الوفود التي أتت من أنحاء سورية ، وانضم إليهم وجهاء دمشق وأعيانهم وتجارها وشبابها الوطنيين ، في حفلة أقيمت لهذه الغاية فوقف إبراهيم هنانو وقال:" لم تعد القضية أيها السادة قضية نواب ، بل أصبحت قضية كل فرد من أفراد هذه الأمة. وقد أراد المفوض السامي في بيانه الذي أذاعه أمس أن يستفتي الأمة السورية، ليعرف موقعها من هذه المعاهدة، لذلك رجوت إخواني عقد هذا الاجتماع الشعبي الكبير لتقولوا فيه كلمتكم الأخيرة بشأن المعاهدة التي يستفتونكم عنها، وكم أنا مسرور من هذا الاجتماع الذي أسرعتم إليه، مقدرين خطورة الساعة التي نحن فيها.

لو كان في الوقت متسع لزحفت جميع المدن السورية في هذه الساعة إلى دمشق، ولجاءت إليها مئات الألوف لتشترك معكم في هذا الاجتماع. ولكن الوقت ضيق جداً كما تعلمون، وأنتم الفئة المختارة من أبناء هذه المدينة ، مع الوفود الموجودة في هذا الاجتماع ، والتي تمثل جميع المدن السورية ، يمكنكم الإعراب عن جميع أماني الأمة وآمالها ، وتعيين موقفها من المعاهدة التي نشرت أمس.

وأنا لا أقول لكم شيئاً في هذه المعاهدة ، بل أترك الكلام لرجال القانون والمحاماة ، وهم كثيرون في هذا الاجتماع ، أدع الكلام إلى هؤلاء وحدهم ليحدثوكم عن هذه المعاهدة من الوجهة الشرعية، وليشرحوها لكم شرحاً دقيقاً،

وبعد أن يتكلموا يفهموكم حقيقتها ، أسمع كلمتكم التي لا بد أن توضع في بيان يعلن على الأمة لتعرف موقفها ، وعلى كل حال فالأمة بانتظار هذه الكلمة ، وهي مستعدة أن تماشيكم في الطريق التي تعينونها.

* *

الملحق السادس – خطاب هنانو جواباً على تصريح " دي مارتل ":

تم هذا الخطاب في ٢٠ آذار عام ١٩٣٤م بالجامع الكبير في حلب أمام حشد كبير من المواطنين جواباً على بيانات " دي مارتل ".الذي جاء إلى حلب ٤/٣/ ١٩٣٤ واجتمع بمندوبيه، مبررا الانتداب بأنه قرار من عصبة الأمم ، يستغرب من رفض البرلمان السوري للمعاهدة، وأنه يعرض برنامجه الاقتصادي، وهو في مصلحة سوريا وفرنسا معاً،واتهم السوريين أنهم لم يبلغوا النضوج المرغوب فيه وبدء يطلب من الزعماء الوطنيين بيع ضمائرهم.

أيها السادة :

علمت أن المدينة مضربة اليوم ، ولكني لا أدري إن كان إضرابها تأسفاً على عهد مضى ، أم احتفاء بعهد جديد ؟ هل كان حزيناً على حكومة أقيلت أم استياء من حكومة نصبت.

إني لا أخال أحد الأمرين ، وأظن أن هذا الأمر هو نوع من أنواع الاحتجاج الصامت على الخطط، التي يسعى الفرنسيون لتطبيقها في هذه البلاد ، وما داموا هم المسيطرون ، فليست هناك أقل من تأثير لحكومة ذهبت أو لأشخاص ينصبون لأن القضية ليست قضية أشخاص بل هي أرفع من ذلك ، ونحن لم نعتد البحث عن أشخاص صنعتهم السلطة ، فكانوا آلات متحركة ينفذون مأربها ويعملون بإشارتها ، أشبه بأشباح لا إرادة لها.

أجل ، أنا أترفع عن البحث عن هؤلاء القوم وعن شخصياتهم ، وعن قيمة هذه الحكومات التي تتألف منهم ، ولذلك أقول على إثر تعيين فخامة " الكونت دي مارتيل " مفوضاً سامياً في هذه البلاد رأينا في أن نتريث في القول والعمل لنرى ما سيعمله العميد الجديد بعد أن أخفق سلفه في السياسة التي عهد إليه بتطبيقها بعد تجربة دامت سبع سنوات ، ومن الطبيعي أن تتبدل السياسة بتبدل الأشخاص.

ولكن الحوادث الأخيرة برهنت على أن الخطة التي اعتزم المفوض الجديد تطبيقها هي نفس الخطة التي كان قد جرى عليها أسلافه ، وهي مرسومة في الدوائر المختصة بالشؤون الشرقية في وزارة الخارجية ، وما رأيناه من اختلاف المظاهر ليس إلا تنوع أساليب وستائر لإخفاء هذه الخطط المقررة ، ولاستدراجنا لتصديقها بشكل معاهدة ، لتأييد سلطتهم وإدامتها.

قال فخامة العميد في تصريحاته : إن السياسة التي أعتزم تطبيقها في هذه البلاد لا تخرج عن نطاقات الأساسات المقررة في باريس وجنيف ، وستنفذ رغم إرادتنا ، أنه لا يحق للسوريين تعيين مدة تحريرهم من سلطة الانتداب ، أو تقرير مصيرهم ، فنشكره على هذه الصراحة ، ونحن نصرح بدورنا إننا لسنا مستعدين للتعاون لأجل تطبيق خطط مرسومة رغم إرادتنا ، وللشعب السوري غاية شريفة يسعى للوصول إليها ، وهي التحرر من سلطة الانتداب وتأمين استقلال البلاد وسيادتها المطلقة ، فإذا كانت مهمة فرنسا في بلادنا هي عبارة عن إرغام الشعب على قبول خطط مفروضة ، وعندهم من وسائل القوة ما يكفي لتحقيقها ، فلماذا حاولوا انتخاب مجالس تأسيسية ونيابية واستعملوا منتهى الشدة والإرهاق ، وأصدروا القوانين لخنق الحريات ، وتأمين فوز أشخاص ظنوا أنهم يوافقونهم على تصديق المعاهدة التي تتلاءم وتلك الخطط الاستعمارية.

وعندما دنت الساعة الأخيرة ، وعرضت المعاهدة ودخل النواب الوطنيون إلى المجلس ، تجلت إرادة الشعب السوري ويقظته ، فلم يتنزل أحد من النواب إلى ارتكاب جريمة تصديق تلك المعاهدة ، إلا من حرمه الله التحسس بالفضيلة الوطنية.

ولما خيب المجلس آمالهم ، ولم يبق لهم مصلحة من بقائه ، أرجؤوه لدورة آذار علهم يتوفقون لحمله على قبول المعاهدة ، ولكنهم لما لم يأنسوا منه هذا الاستعداد ، خرقوا حرمة الدستور ، وأرجؤوه ثانية لدورة تشرين ، ولا نعلم ما عساهم يفعلون به.

وبهذه المناسبة أرى من المفيد أن أبين لمحة عن تاريخ علاقات الكتلة الوطنية مع السلطة الفرنسية ، منذ ثماني سنوات أتى المفوض السابق " المسيو ده جوفنيل " وكان مجيئه في إبان الثورة السورية قال جملته المشهورة : " الحرية لمن أراد الحرب ، والسلم لمن أراد السلم " فانتهز رجال الكتلة الوطنية هذه الفرصة لإثبات حسن إرادتهم في السلم ، وتفاهموا معه على برنامج معين ، واشترك ثلاثة من أعضاء الكتلة في وزارة تألفت لتطبيق الاتفاق ، ولكن ما إن بدأوا بمهمتهم حتى استقال " ده جوفنيل " واعتقل الوزراء الثلاثة مع بعض إخوانهم، وضرب بالاتفاق عرض الحائط .

ولما أعلن المفوض السامي " المسيو بونسو " عن رغبته بمتابعة خطة سلفه " دي جوفنيل " تقدم الوطنيون بنفس الرغبة وتفاهموا معه على أهم الأسس ، ولكن في الساعة التي انتهى فيها مشروع الدستور السوري ، وقبله المجلس التأسيسي للمذاكرة في مواده ، استدعانا " المسيو بونسو " وأبلغنا لزوم حذف المواد الست من الدستور.

ولما كنا اتفقنا سابقاً عل كل مواده ، قال المفوض السامي بكل صراحة وبمنتهى التأثر : إن وزارة الخارجية أرادت ذلك ، فالخطأ ليس خطأه ولا خطأنا ، وفي النهاية أصدروا قراراً بحل المجلس التأسيسي ، وتعطيل الدستور ، بتذييله بالمادة (١١٦) وأبقوا الحكومة المؤقتة أربع سنوات، ثم أقيلت وبدأ العهد الأخير وهو عهد معاهدة ، وما أحاط به من ظروف معلومة ، ولا حاجة لتبيانها.

* *

يتضح من هذه اللمحة التاريخية أننا لم ندع فرصة تمر إلا واغتنمناها ، لإقامة البراهين على حسن نيتنا في التعاون مع فرنسا على أساس تحقيق وعودها في تأمين استقلال البلاد وسيادتها ، وقد سايرناهم في التساهل إلى حد لا يجوز للوطن اجتيازه.

إن هذه التجارب المتكررة برهنت على أن للإفرنسيين غايات استعمارية مقررة يحاولون تأييدها وإدامتها تحت اسم الانتداب ، ولما لم يتوصلوا إلى تقريرها بتصديق المعاهدة ، لم يروا بأساً من التصريح بأنهم عازمون على تطبيقها رغم إرادتنا ! فترون أنه في الوقت الذي كان يجب فيه أن يفهم أن وسائل العنف والتهديد لا توصل إلى الغاية ولا سيما مع الشعب السوري الذي عرف حقه واعتزم الوصول إليه في هذا الوقت نراهم يفاجئون السوريين بالتهديد وحرمان الحقوق ، ولذلك أصرح إن كل عمل يراد تطبيقه في بلادنا رغم إرادتنا ، نعتبره جبناً وإكراهاً ، ونقاومه بما يليق بكرامتنا وشرف غايتنا من وسائل الدفاع عن الحق، وإننا مستعدون لبذل كل تضحية في سبيل الشرف والحرية والحياة. ولا شك أن السوريين الذين يواجهون خطر الفناء ، لا يلومهم أحد إذا فضلوا أي مصير على هذا المصير السيء . ويجب أن نعلم أن كل المجالس والدساتير

والمعاهدات لا تجدي نفعاً تحت سلطة الأجنبي ، لأنها أشبه بقصاصة ورق يحرقها متى شاءت أهواؤه ، وهذا ما سنراه.

* *

أما المشاريع الاقتصادية التي يمنينا بها المفوض السامي ، فلا نرى فائدة منها إذا لم تنل البلاد استقلالها الحقيقي وسيادتها المطلقة ، ونعتبرها حلقة من سلسلة الاحتلال التي ترهق البلاد وتطيل أمد الاستعمار ، وتحمل المكلف السوري ما لا طاقة له به من الضرائب لتسديد خسائر الشركات وإسرافها ، كما هو حالنا مع الشركات الحاضرة التي يستفيد منها الأجانب وحدهم.

لذلك فإن البلاد لا تعترف بأي مشروع اقتصادي ما لم يكن للأمة رأي فيه ، و لا نوافق على أن تصرف أموالنا لتأمين منافع الشركات الأجنبية ، فالقواعد الاقتصادية تتطلب قبل كل شيء ضمانة كافية لحرية العمل والاستثمار، وهذا لا يمكن وجوده ، إلا بعد حصول الاستقرار السياسي ، وهو مفقود في بلادنا. وإننا نشاهد الانحطاط في كل نواحي حياتنا الاقتصادية ، وقد بدأت آثاره تهدد البلاد بالفقر والدمار ، ومنشؤه الرئيسي هو استثمار السلطة الفرنسية لمقدراتنا ومواردنا وأهمها المصالح المشتركة والجمارك.

إن السياسة الجمركية التي تمادت السلطة في تطبيقها ، لا ترتكز على قاعدة علمية من قواعد الاقتصاد المرعية عند الدول ، إذ لا توازن في الوارد والصادر ، ولا مراعاة لمنافع البلاد في فرض الرسوم ، وواردات الجمارك وحدها تكفي لإنعاش البلاد وتخليصها من شر الفاقة ، لأن هذه الواردات هي في المائة سبعون من ميزانيتي سوريا ولبنان ، أو عن ثمانية ملايين ليرة سورية.

نقبل إيجاد المشاريع الاقتصادية يجب أن تحسن إدارة هذه الموارد ، وصرفها في سبيل تؤدي لإنعاش البلاد كما جاء في تقرير مؤتمر الغرف التجارية الذي

انعقد مؤخراً في بيروت ، وكشف الغطاء عن الأضرار من تمادي هذا الاستثمار.

فإذا كنا غير قادرين على حفظ مواردنا الحاضرة ، وتخليصها من سوء التصرف فما هي وسائل الاطمئنان على منافع مشاريع اقتصادية مزعومة ما دامت البلاد لم تحصل على استقلالها وحريتها في تدبير شؤونها ؟

لذلك يجب أن تمشي البلاد متحدة في الطريق الذي اختطته للوصول إلى غايتها ، ويكفي أن يكون لنا إيمان بأن الحق يخلق القوة ، وبهذا الإيمان يجب أن نتقدم لتأدية الواجب.

وإذا سألتني ما الفائدة من هذا البيان ، ومن إغلاق المدينة ، ومن احتجاج المعارضين ؟ فالجواب :

رد على ما تكتبه في تقاريرك أنت إلى حكومتك ، وإلى عصبة الأمم تقول فيها : إن سوريا تقبلت عملك بكل ارتياح وسرور ، وأن القوم تركوا السياسة وقضيتهم ، وانصرفوا إلى جمع المال واللهو في التبدلات والتغيرات ، كما ادعى " بونسو " يوم أغلق المجلس التأسيسي سنة (١٩٢٨م).

وإذا لم نؤمن بما نقول فامض بعملك ، وغداً ترى نتيجة ما جنته يداك ، وعلى كل نرسل الآن احتجاجنا الآتي ، والزمان بيننا وبينك خير الحاكمين.

الملحق السابع – نص برقية هنانو إلى المفوض السامي ووزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٣٤م:

التقى المفوض السامي دي مارتل بهنانو وزعماء الكتلة الوطنية بحلب،و قدم لهم وعوداً غير صادقة ، بتلبية طلباتهم .. ثم إقرار العفو عن من حاول اغتيال هنانو ، بدون موافقة السلطات السورية .. و في خمسة وعشرون أيار ١٩٣٤ م يعتقل الوطنيون من الجامع الأموي بحلب، وكأنهم مجرمون ، فعوملوا أسوء معاملة ، مع أحكام بالسجن .. فرد هنانو على ذلك محتجاً :

في أثناء اجتماعنا الأول في حلب أظهرتم أنكم راغبون في بذل جهودكم لإقرار الثقة المتبادلة ، ولكن عفوكم عمن اعتدى على حياتي ، ثم إصداركم الأوامر لاعتقال ٧٠ شخصاً من الوطنيين عند خروجهم من جامع حلب لا لسبب سوى مبادئهم السياسية العالية ، ثم الحكم عليهم بالسجن.

كل هذه الأمور تخالف تصريحاتكم وتمحو الثقة التي تنشدونها للتعاون بيننا ، أؤكد لفخامتكم أن سياسة العنف والتهديد تقيم في طريق ذوي النيات الحسنة عقبات كأداء يصعب تذليلها.

الملحق الثامن – أنشودة هنانو:

لقد دخلت الثورة كل بيت،وفي كل قلب ،وكان الجمهور ينشد هذه الأنشودة التي ألفها حب الشعب للثورة:

طارت طيارة في الليل

فيها عسكر فيها رجيل

فيها إبراهيم هنانو

مركب بنتو أدامو

وفي رواية أخرى:

طيارة طارت بالجو

فيها عسكر فيها ضو

فيها إبراهيم هنانو

راكب عا ضهر حصانو

مركب بنتو قدامو

طا طوط رايحة جايية عا بيروت

****

يا بنت هنانو

يا بنت العربان

تركب المهرة

تسبق الفرسان

ياشعرا حنطاوي

تقوص بالطبنجة

تقتل فرنساوي

يا بنت هنانو

يا أصيلة يا حرة

لدبك في عرسك

في الليلة البدرة

يا بنت هنانو

يا جبينا ضاوي

لجبلها مهرا

راس فرنساوي

****

الملحق التاسع – شخصيات وطنية رديفة للثورة:

لا يمكن لأي عمل ثوروي النهوض به، ودفعه للحياة والاستمرار، دون فكر ثوروي وإرادة ثوروية رديفها الدعم المالي، والجغرافيا الأخيرة كائنة في جبال المنطقة، والأولى تمثلت في شخصيات من حقها علينا التعريف بها.

١- المجاهد الحاج فاتح المرعشي: (الصورة ٣٣)

من مواليد حلب حي الفرافرة عام ١٨٧١م، من أوائل من وضعوا نواة ثورة الشمال مع رشيد طليع والي حلب ونبيه العظمة مدير الشرطة فيها وإبراهيم هنانو رئيس ديوان الولاية ونجيب باقي عضو في المؤتمر السوري عن حلب سماه الجميع شيخ المجاهدين هو الممول الأول للثورة بالمال والرجال والسلاح والغذاء،



الصورة ٣٣- المجاهد الحاج فاتح المرعشي
(١٨٧١ – ١٩٥٤م)

بل هو قد حمل السلاح في معارك جرت على الحدود التركية، في تل شعير ومرج دابق[١]، لعب دور الوسيط مع الأتراك في مركز مرعش وقائد الجيش صلاح الدين، عادل باشا، وتمكن من الحصول على السلاح والجنود لصالح الثورة. سكن عينتاب بعد الحكم عليه غيابياً بالإعدام، لكن

---

[١] تل شعير تقع في محافظة حلب شمالاً وكذلك مرج دابق بـ ٤٤ كم ، توفي فيها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك . وفيها جرت المعركة بين المماليك والعثمانيين عام ١٥١٦م.

بعد صدور العفو عنه، في عهد الحكم الوطني عاد إلى حلب، مستقبلاً استقبالاً شعبياً على رأسهم سعد الله الجابري. ظل على صلة بالمجاهدين وأسرهم بعد وفاتهم، ماداً لهم الإعانات من ماله الخاص، توفي بحلب عام ١٩٥٤م.

٣-الشيخ طاهر الرفاعي: من أبناء حلب حي البياضة عام ١٨٧٢م، أزر ثورة هنانو منذ البداية، مقدماً لها الدعم المالي والنفوذ، بشجاعته وجرأته. توفي بحلب عام ١٩٢٦م.

٤- الشيخ رضا الرفاعي: ولد بحلب عام ١٨٨٥م مهمته الأولى في دعم الثورة، أنه كان يترقب تحركات الفرنسيين، ويعلم هنانو بذلك، من مآثره رفعه العلم السوري مكان العلم الفرنسي في أحد أعيادهم، فحكم عليه غيابياً، فالتجأ إلى تركية، ليلقى الحفاوة هناك، واستثنى من العفو، لخشية الفرنسيين منه، وعاد إلى الوطن بعد الجلاء ليستقبل بحفاوة شعبية. توفى عام ١٩٤٨م.

٥- رشيد **طليع:** من مواليد الشوف في لبنان ١٨٧٧م خريج الأستانة، عمل في السلك الإداري. انتخب نائباً عن جبل الموحدين الدروز في البرلمان العثماني، آخر مناصبه قبل انضمامه للثورة أنه كان والياً بحلب، خطط لنواة الثورة مع هنانو، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابياً. تولى رئاسة الحكومة في شرقي الأردن عام ١٩٢٢م ثم استقال لينزح إلى مصر شارك في ثورة عام ١٩٢٥م وتوفى بعد مرض عام ١٩٢٦م.

٦-القائد هاشم بك جمال:

من مواليد حلب ١٨٨٨م خريج كلية الحقوق والكلية العسكرية في اسطنبول.. تولى عدة مناصب آخرها قيادة الدرك في قضاء إدلب. شارك في جميع معارك الثورة، وله خبرة ببث الألغام وتفجيرها وتدمير الخطوط الحديدية والجسور. شارك في معركة جبل الشعر ومكسر الحصان. حكم عليه بالسجن عشرين عاماً فالتجأ إلى تركيا.



الصورة ٣٤- القائد هاشم بك جمال
(١٨٨٨- ١٩٥٣م)

٦-أسر آزرت الثورة : كما ورد في الكتاب هناك أسر قدمت خدماتها المالية والمعنوية للثورة كآل العياشي وآل الحكيم في إدلب والنجاري في جسر الشغور وآل رستم في سلقين وآل شعبان في قرية ملس وقد ذكر زكي الأرسوزي في مقابلة معه بمناسبة عيد الجلاء عام ١٩٦٥م دور هذه الأسرة الوطني في تقديم السلاح في اجتماع الثوار في مضافته وهم متجهون للجهاد بالإضافة لعهدته أسرة هنانو في مزرعته في جبل الوسطاني.

كثيراً ما عاقب الفرنسيون هذه الأسر بمصادرة ماشيتهم أو حبسهم أو نفيهم ، جزاهم الله كل خير وأكثر من أمثالهم.

الملحق العاشر :

قصيدة الشاعر ..

عمر أبي ريشة ..

التي ألقاها في تأبين

البطل إبراهيم هنانو



هنانو ، أي صاعقة انقضت على صرح ، من العليا مشيد

هنانو ، أي سيف غيبته يد الاقدار في غمد اللحود

الا انظر صحبك الغر الدواهي يشدون الاكف على الكبود

رجال لاتلين لهم قناة إذا عصف الحديد على الحديد

يعز عليك مرآهم جميعاً وقد اجروا الدموع على الخدود

وما علمتهم غير ابتسام إذا عبس الوغى تحت البنود

وافظع منظر حر جريح بكى أسفاً على حر شهيد

صريع الموت هل ابقيت سهماً ولم تقذفه بالعزم السديد

وفيك بطولة الأجيال تدوي مناضلة عن المجد لتليد

وأنت على يد الآسى عليل تصارع صولة الداء العنيد

وماالسنون هدت فيك عزماً ولا خدعت بمعسول الوعود

نهضت فكنت عاصفة تمشت وفي جنباتها قصف الرعود

تزيل النير عن أعناق قوم بعصر النور أشبه بالعبيد

فكم أرقصت مهرك في صعيد وكم أرديت خصمك في صعيد

ولما لم يعد بالكف سيف كسرت الناب في عض القيود

فنم في راحة واعزر بياناً كبا في زحمة الألم الشديد

لأن خذل القصيد لسان حزني فأن بدمعتي بيت القصيد

الخاتمة

ليس لنا بد من القول إن الثورة العربية في الشمال السوري هي أولى الثورات التي أعطت أنموذجاً في الوعي الوطني الواحد، بين كافة فئات الشعب غنيها وفقيرها[1]، شمالها وجنوبها، غربيها وشرقيها، لا مذهبية ولا طائفيلة ، أي أنها كانت ذات رؤية وطنية قومية ، وإلا لما اهتز كيان المثقفين العرب لوفاة زعيمها الوطني إبراهيم هنانو، فرثاه كل العرب وبكته كل أم ، وتابع مسيرته كل أب ، حتى تحقق الاستقلال، الثمرة الأولى التي قامت من أجلها الثورة، فقطفها الشعب العربي السوري مكللة بالفخار والدم المعطار.

كلنا أمل في أننا قدمنا تأريخاً حقيقياً وموضوعياً ، للجيل الجديد ، لنساهم معا، في تثبيت الرؤيا الوطنية ، وقراءة سجل الكفاح الوطني مرة أخرى.

كنا قد ناشدنا منذ سنوات ، في مقالاتنا ومحاضراتنا إلى إيفاء حق الثورة علينا ، في تقديم رؤياها الوطنية ، وإبراز نشاطها الميداني ، بإنشاء متحف خاص للثورة ، وإقامة نصب تذكارية تمثل وقائعها ... في حدوث معركة أومكان سقوط شهدائها ، لنربط القول بالفعل ...

كانت بداية مسعانا الحثيث ، حين كنت أعمل في مرحلة تأسيس فرع جمعية العاديات بادلب ، في إقامة النصب التذكاري للزعيم إبراهيم هنانو (تمثال نصفي له ولوحة تذكارية) في كفر تخاريم مسقط رأسه، ليكون ثمرة العطاء، في واحة التاريخ المجيد لهذا الوطن.

---

[1] كان نائب إدلب (الفقير) غالب العياشي قد ذكر في مقدمة كتابه الإيضاحات السياسية منوهاً بزعيمها (ذلك الرجل الذي تلقيت عن مدرسته الوطنية الكبرى قول الحق والإخلاص ومناهضة الاستعمار وحب الحرية).

المصادر والمراجع

١- إحسان هندي: كفاح الشعب العربي السوري – دمشق ١٩٦٢ م
٢- إلياس فاضل : السجل الذهبي للمجاهدين السوريين –دمشق
٣- أدهم الجندي: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي دمشق١٩٦٠
٤- حكمت علي اسماعيل: نظام الانتداب الفرنسي على سوريا– دمشق ١٩٩٨م
٥- سليمان محمود السبعاوي: تاريخ النضال الشعبي– دمشق ١٩٦١ م
٦- صلاح الدين كيالي: كفرتخاريم – دمشق ٢٠٠٢م
٧- عبد الرحمن الكيالي: المراحل ٤ جزء حلب ١٩٥٨ م
٨- عبد اللطيف اليونس: ثورة الشيخ صالح العلي – دمشق ٢٠٠٥م
٩- علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سوريه حلب ١٩٧٩ م
١٠- غالب العياشي: الايضاحات السياسية– بيروت ١٩٥٥م
١١- فارس زرزور: معارك الحرية في سوريه الجلاء – دمشق ١٩٦٢ م
١٢- فارس قاسم المناوي: معارك الحرية في سوريه – السويداء ١٩٥٥ م
١٣- فايز سارة: معالم إنسانية من المشرق العربي – دمشق ١٩٩٦م
١٤- فايز قوصرة: من إبلا إلى إدلب – حلب ٢٠٠٤م
١٥- قصة الجلاء عن سوريه وزارة الثقافة – دمشق ١٩٦٢ م
١٦- مجلة (المجلة) المصرية عدد ٤٧ عام ١٩٦٠م
١٧- مجلة العربي العدد ٢٤ عام ١٩٦٠م
١٨- مجلة العمران عدد خاص عن محافظة إدلب – دمشق ١٩٧٢م
١٩- محمد كردعلي: خطط الشام ٣ مجلد ط ٣– دمشق ١٩٨٣ م
٢٠- محمد راغب الطباخ: سير إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٧ أجزاء ١٣٤٢– ١٣٤٥ هـ
٢١- منير الريس: سوريه بين عهدين ١٩٤٧م
٢٢- منير الريس: الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي – دمشق ١٩٧٦ م .
٢٣- وجيه كوثراني : بلاد الشام بيروت ١٩٨٤ م

٢٤- وصفي عوف: ذكرى الزعيم - حمص ١٩٣٥ م

وغيرها من المراجع المذكورة في هوامش الكتاب ، بالإضافة الى المراجع التاريخية العامة والموسوعات والمجلات ومجلة دراسات تاريخية ومجلة الصياد اللبنانية... ومذكرات المجاهدين (إبراهيم هنانو - إبراهيم الشغوري - يوسف السعدون- نجيب عويد - مذكرات آل القصاب) والوثائق المتوفرة لدينا.

صدر للمؤلف :

١- الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول - حلب ١٩٨٥م
٢- الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني - حلب ١٩٨٨م
٣- حصن شغر- بكاس (حطين الثانية)
٤- حارم دمشق الصغرى ١٩٨٨ (نفد)
٥- قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥ وآخر بالانكليزية.
خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب)
٦- من إبلا إلى إدلب - حلب ٢٠٠٤
٧- التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب - دمشق وزارة الثقافة ٢٠٠٦

وله قيد الإعداد :

إدلب .... البلدة المنسية - دراسة تاريخية ميدانية
الأوابد الأثرية في جبل باريشا - محافظة ادلب (منجز)
الأوابد الأثرية في جبل الأعلى - محافظة ادلب .
ولاية الفوعة (منجز)

المحتوى

الفصل الأول
الاحتلال.. وتشكيل الحكومة العربية

الفصل الثاني
إعلان الثورة

الفصل الثالث
ثورة جبل الزاوية

الفصل الرابع

التواصل المشترك بين ثورة هنانو وثورة جبال الساحل

الفصل الخامس
المفاوضات ... توقف الثورة

الفصل السادس
ما بعد الثورة

الفصل السابع
وقفة مع من أحببت ...الزعيم إبراهيم هنانو

الفصل الثامن
الملحقات

* *

صدر للمؤلف

١-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول، حلب ١٩٨٥م.
٢-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني، حلب ١٩٨٨م.
٣-حصن شغر – بكاس (حطين الثانية).
٤-حارم دمشق الصغرى، ١٩٨٨ (نفد).
٥-قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥م، وآخر بالانكليزية.
٦- من إبلا إلى إدلب، ٢٠٠٤م.

٧-ولاية الفوعة –حلب ٢٠٠٨ م تم إنجازه ثانيةpdf
٨-التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب، دمشق، وزارة الثقافة ٢٠٠٦. (نفد).تم إنجازه ثانيةpdf
٩- الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو)، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م. (نفد). تم إنجازه ثانيةpdf
١٠- إدلب ... البلدة المنسية – دراسة تاريخية ميدانية. في ثلاثة مجلدات(منجزالأول في ٢٠١٩م) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١١-الحلة السنية في الرحلة الشامية-رحلة محمد الكيالي ١٨١٦/ ١٨١٧م من تحقيقنا(منجز)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٢- أضواء جديدة في تاريخنا الأثري(دراسات في الحواضر السورية)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٣- شهبا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٤-آثارنا في لوحات فوغويه (منجز)pdf في ٢٠١٩م)
خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب).
- وعي الزمن التاريخي-(منجز)pdf

وله قيد الإعداد :

من سلسلة الجولات:
جولة أثرية في جبل باريشا – محافظة ادلب (منجز).
جولة أثرية في جبل الأعلى – محافظة ادلب(قيد الإنجاز).
جولة أثرية في جبل الزاوية – محافظة إدلب (منجز).
جولة أثرية في جبل الحلقة وسهل الدانا- محافظة ادلب (منجز).
جولة أثرية في جبل الوسطاني - محافظة ادلب(قيد الإنجاز).
جولة في متحف ادلب (مخرج)

جولة في متحف أنطاكية(منجز).
جولة في متحف معرة النعمان (قيد الإخراج)
رحلة مع نهر بردى (قيد الإخراج)
رحلة تاريخية مع نهر العاصي(قيد الإخراج)
رحلة مع نهر قويق(قيد الإخراج)

عرب على عرش روما (قيد الإخراج)
إبلا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)
ملكات عربيات-(قيد الإخراج)
دافني في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)
لقمان في وصاياه وحكمه (قيد الإخراج)
د ليل أسماء مدن ،وقرى محا فظة ادلب (قيد الإعداد)
مملكة أرواد الفينيقية (قيد الإخراج)
حواضر بلاد الشام في أقدم الصور(قيد الإخراج)
جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)
عجائب مريم ـــ تحقيق مخطوطة
صحائف سوداء،وبيضاء (مذكرات فايز قوصرة)

*

*